عبد السلام محمد هارون

كناشة النوادر

القسم الأول

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

عبد السلام محمد هارون

كناشة النوادر

القسم الأول

الطبعة الأولى

١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

عشنا دهرا فى زمان قوامه الصراع الدائم بين الدعوة الحقة والدعوات المتطرفة إلى كل ما يثير الأحرار من نبذ للعروبة والعربية ، ودعوة عارمة إلى الشعوبية ، وإلى العامية ، بلغت ذروتها فى إصدار بعض الصحف السيارة فى مصرنا العزيزة باللغة العامية ، وهو واقع سجّله التاريخ ولاتزال آثاره باقية فى سجل لايستطاع محوه من صحيفة معروفة متداولة ، مجنىٍّ عليها . وكان هذا أمراً محزنا حقا .

وعشنا كذلك فى زمان دعا فيه بعض الأفراد ممن اضطرتهم الظروف أن يعدّلوا مسارهم من الإلحاد الظاهر إلى الكتابة فى مجال الإيمان ، بل فى مجال التصوف وتمجيد الإسلام وأبطال الإسلام ، ويقولون : عفا الله عما سلف ، والله أعلم بما صنعوا !

كان هذا قدَرنا ، وهذا عصرَنا الذى أظلتنا ظلاله القاتمة السود ، وكانت فتنةً هزمَها الحقُّ ، وقوض دعائمها الهَشَّة تقويضا ، وأتى الله بُنيانَهم من القواعد .

وكانت نفوسنا الشابة حينئذ تأسَى لهؤلاء القوم الذين بغَوا وابتغوا أن تنتكس الراية ، وتنتصر دعوة سادتهم أعداء العروبة والدين ، من صغار المستشرقين ومُغْرِضيهم .

وحاولوا تشويه اللغة ، بل وأْدها بإشاعة العامية إشاعة عامّة . ونزلوا فى دعوتهم نزولا مبتذلاً بمحاولتهم الطعن فى الكتابة العربية ، ودعوتهم إلى الكتابة بالحروف اللاتينية ، ثم عدلوا بعد هزيمتهم فى ذلك ، وشمروا عن سواعدهم مرة أخرى زاعمين أنهم يصلحون عيوبها – فيما تزعم عيونهم

المريضة — بتطوير الكتابة العربية والرسم العربى ، وافتنُّوا فى ذلك فنونا هزيلة هازلة ، باعتصار رءوسهم الدليلة ؛ لتبتدع حروفا جديدة للطباعة ولصندوق الحروف الطباعية ، وللرسم العربى ، والإملاء العربى ، فباءوا بخزى بالغ ، وكاد نباحهم البغيض أن يختفى من الوجود ، ولم يستطيعوا أن يحققوا مأرب سادتهم ، الذين أرادوا فى خدعة خفيت على عبيدهم وهى ظاهرة واضحة لنا ، أن يقطعوا الصلة بيننا وبين تراثنا العربى بمختلف مقوماته التاريخية ، والدينية ، واللغوية ، والأدبية .

وخلقنا الله أحرارا فلم نقع فى أسرهم ، ولا نالت أيديهم ورماحهم مما وطّنّا أنفسنا عليه ، من حفاظ على مقوماتنا الخالدة . فكان اتجاهنا قديما — نحن الشبانَ الأحرار — كاتجاه الشعوب العريقة ، أن نحترم تراثنا احتراما ؛ لنبنى عليه حاضرا تحُفُّه السلامة والقوة ، والعِزَّة والكرامة ، وكان النصر لنا .

من هنا كان حرصنا على هذا التراث العربى ، الذى هو مفخرة الدنيا بين سوالف التراث فى كلّ الدُّنَى .

واكَبْنا التطور العالمى فى مختلف زواياه المعاصرة ، لم نتخلَّف عنه ، وفى أَيماننا وقلوبنا تراثنا ، نحرص عليه حرص الشحيح على ماله ، وبدأنا نجلوه على ضوء العصر فى أمانة ، ونَكشِف الكنوز منه كنزا إثر كنز ، فإذا العرب ، والأسلاف ، والفكر العربىُّ فى الذرى . وإذا أمِس واليومَ قِرْنان متقاربان . ومن يشابه أبَه فما ظلَم .

وكانت « كناشة النوادر » التى أقدّم اليوم طاقةً منها ، جزءا من تلك الصورة المشرقة للتفكير العربى العزيز ، والحضارة الإسلامية الفارعة ، وتحفةً لمن يؤمن بتراثه ، وهادياً لمن ضلّ به الطريق عن الإيمان بمعدِنِه الأصيل ، وسالفه المضىء . والحمد لله على ما أنعم .

غرة ربيع الثانى ١٤٠٥ — عبد السلام محمد هارون

٢٣ من ديسمبر ١٩٨٤

من كُنَّاشة النَّوادر

– ١ –

تراثنا العربى زاخر بأنواع شتى من المعارف بها جلاء لكثير من غوامض العلم ، كما أنه مشحون بالطرائف وغذاء الذهن والروح واللسان أيضاً .

وقد كان من سوالف الأقضيَة أن أقيِّد تلك الشواردَ ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، فإنّ الحكيم العربى كان يقول وقوله حقٌّ : « العِلم صيدٌ والكتابة قَيد » . وإذا ضاع القيد ذهب الصيد .

وكثيراً مايقرأ الإنسان شيئا فيعجبه ، ويظن أنه قد عَلِقَ بذاكرته ، فإذا هو فى الغد قد ضاع منه العلم ، وضاع معه مفتاحه ، فانتهى إلى حيرةٍ فى استعادته واسترجاعه .

والباحثون ، ولاسيما فى أيامنا هذه ، يقيدون هذه المعارف فى جُذاذات ، يرجعون إليها عند الحاجة ، ولكنّى سلكت طريقا أوثقَ من طريق الجذاذات ، هو دفتر الفهرس ، وهو الذى سميته « كناشة النوادر » ، أقيِّد فيها رءوس المسائل مرتبة على حروف الهجاء ، مقرونة بمراجعها . وقد وجدت أنّ هذه التسمية ، مع مافيها من التوليد أو التعريب ، أقرب فى الدلالة وأدق فى التعبير .

(*) انظر التعقيبات على البحث فى محاضر جلسات مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين (جلسة الخميس ٩ من ربيع الآخر سنة ١٣٩٩ هـ ، الموافق ٦ من مارس سنة ١٩٧٩ م) . وقد نشر هذا البحث فى الجزء ٤٣ من مجلة المجمع بتاريخ جمادى الآخرة ١٣٩٩ (مايو سنة ١٩٧٩) .

ففى القاموس : « الكنّاشات بالضم والشد : الأصول التى تتشعَّب منها الفروع » ، وعلق عليه صاحب تاج العروس بقوله :

« نقله الصاغانى عن ابن عَبّاد » . وإذن فهنا أصل عربى يولّد منه كناشة الأوراق .

ويعقّب عليه صاحب التاج أيضاً بقوله : « قلت:ومنه الكناشة : الأوراق تجعل كالدفتر يقيَّد فيها الفوائد والشوارد للضبط . هكذا يستعمله المغاربة . واستعمله شيخنا ـــ يعنى ابن الطيِّب الفاسىّ اللغوىّ ـــ فى حاشيته على هذا الكتاب كثيراً » ، يعنى حواشى ابن الطيب على القاموس .

أما الخفاجى (فى شفاء الغليل) فيضبطه بلفظ كُنَاش ، بضم الكاف وتخفيف النون بزنة غُراب ، ويقول : إنه لفظ سريانى معناه المجموعة والتذكِرة . وقد وقع هذا اللفظ كثيراً فى كلام الحكماء ، وسمَّوا به بعض كتبهم .

وببحثى فى « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » للقفطى المتوفى سنة ٦٤٦ وجدته يذكر الطبيب « يوسف الساهر » ويقول : « كان طبيبا فى أيام المكتفى الخليفة العباسى المتوفَّى سنة ٢٩٥ » ، ثم يسرد من تصانيف يوسف الساهر هذا : « كتاب الكناش » . وقال : إنّما سمى الساهر لأنّ سرطاناً كان فى مقدم رأسه ، فكان يمنعه النومَ ، فلقّب الساهر من أجل ذلك .

ويقول القفطى : وإذا تأمل متأملٌ كناشه رأى فيه أشياء تدل على أنه كان به هذا المرض .

فهذا من أقدم التسميات . كما أن من أقدمها ماعثرت عليه فى كشف الظنون ، من (الكناش المنصورى) للطبيب المعروف محمد بن زكريا الرازى المتوفى سنة ٣١١ صاحب الحاوى ، والطب الملوكى . ألّف هذا الكناش للأمير منصور بن إسحاق بن أحمد الساماني المتوفى سنة ٣٠٢ .

وكذلك كناش أعيَن بن أعيَن الطبيب المصريّ، المتوفى سنة ٣٨٥ .

وأعتقد أنى بذلك قد أطلت واستطردت فى تعليل تسمية مذكراتى هذه باسم « كناشة النوادر » . ولكنى بذلك لم أخرج عن موضوع محاضرتى هذه .

وقد قيدت فى هذه الكناشة على مدى اشتغالى بالبحث والتحقيق زهاء نصف قرن نحوَ ثلاثة آلاف مذكرة هى رءوس مسائل ، أرجو إن مُدَّ لى فى أجل الحياة أن أنشرها مفصَّلة على هذا النحو الذى أشرُف بتقديمه .

فمن طريف ماقيّدته فى هذه الكناشة تفكير أسلافنا القدماء فى أمور حضارية يزهو بها عصرنا الحاضر ويعدُّها من مفاخره .

جراحة التجميل :

جاء فى ترجمة الصحابى الجليل المقداد بن الأسود الكندى أنه كان عظيمَ البطن ، وكان له غلامٌ روميّ ، فقال له : أشقّ بطنك ، فأخرج شيئاً من شحمه حتّى تلطُف – أى تصير رشيقاً – فشق بطنه

ثم خاطه . فمات المقداد ، وهرب الغلام [١] .

ولعلَّ هذا أول تفكير فى جراحة البطن للتجميل ، نسمع به فى عالمنا العربى القديم ، الذى سبق العالَم الغربىَّ فى كثير من أمّهات الحضارة .

محو الأميــة

كان العرب حِراصاً على إدماج أبنائهم فى التعليم ، ولاسيما حِفظ القرآن الكريم ، بل على إجبارهم عليه ، استجابةً لأمر الكِتاب . فاذا أفلت أحدُهم من قيد التعليم صغيراً رُدّ إليه كبيراً .

جاء فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم [٢] فى ذكر خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان قوله : « وهو الذى أمر به يزيد بن عبد الملك أن يحمل إلى الكتّاب حتى يتعلم القرآن مع الصبيان . فمات كمدا » .

فهذا سبقٌ عربىٌّ فى الحرص على استدراك تعليم من فاته التعليم ، وفى حرص الولاة على تعميم التعليم .

تنظيم خدمة العملاء :

يزدحم الناس على العامل أو التاجر ، فيُحدث ذلك اضطراباً أو تذمُّراً أو صراعاً ، لايعالجه إلا تنظيمُ العملاء ، وهو الذى انتهى الأمر فيه فى مدنيّتنا الحديثة بنظام الصفوف ، كما هو واقعٌ الآن فى التموين

---

(١) الإصابة ٨١٧٩ .

(٢) الجمهرة ٨٣ .

والمصارف ، ودور اللّهو ونحوها .

فلننظر إلى هذا النص من كتاب الحيوان للجاحظ (١) :

وكان أهل المِربد يقولون : لانرى الإنصاف إلّا فى حانوت فرج الحجّام ، لأنه كان لايلتفت إلى من أعطاه الكثيرَ دونَ من أعطاه القليل ، ويقدّم الأول ثم الثانى ثم الثالث أبداً حتّى يأتىَ على آخرهم . على ذلك يأتيه من يأتيه . فكان المؤخّر لايغضب ولايشكو .

خيال الظل :

وهو الأصل الأول للسينما المعاصرة ، إذ تتحرك الأشخاص والأشكال خلف ستر وقد سُلِّط عليها الضوء ، فتبدو صُوَرُها متحركة من خلف الستر .

ومن أقدم النصوص التى سجلت فيها هذه الظاهرة ، قول ابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ أى منذ ثمانية قرون :

أينا خيال الظل أعظمَ عبرة   لمن كان فى أوج الحقيقة راقى
شخوص وأشكال تمر وتنقضى   وتفنى جميعا والمحرك باقى (٢)

رايات العرب :

قد نظن أن رايات العرب كانت ساذَجة تتميز باختلاف ألوانها فحسب . والواقع أنه كان لمختلف القبائل فى أعلامها رموز وإشاراتٌ

---

(١) الحيوان ٧ : ٢٦٢ .
(٢) النجوم الزاهرة ٦ : ١٧٦ .

خاصة . قال المرزوقى فى شرح المفضليات : « كانت راية تميم على صورة العقاب ، وراية بنى أسد على صورة الأسد [١] » .

أعياد الميـلاد :

وجدتُ الاحتفال بها قديماً قبل سنة ٢٠٩ وعلى صورة رائعة غير مانشهده اليوم .

قال المبرد : كان سعيد بن سَلْم إذا استقبل السنةَ التى يستقبل فيها عدد سِنيه ، أعتق نَسَمة ، وتصدق بعشرة آلاف درهم : فقيل لمدينيٍّ : إنّ سعيد بن سلم يشترى نفسَه من ربه بعشرة آلاف درهم . فقال المدينى : إذن لايبيعه [٢] .

وكانت وفاة سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلى سنة ٢٠٩ كما فى النجوم الزاهرة .

وقد نظن أنّ الاحتفال بعيد ميلاد المسيح بدعةٌ حديثة ، وفى الحق أنه بدعة قديمة جدًّا . ففى كتاب التحف والهدايا للخالديَّين [٣] :

كتب الحسين بنُ الضحاك إلى أحمدَ بن يوسف الكاتب ليلةَ عيد الميلاد ، يستهديه شمعاً :

---

(١) شرح المفضليات ٣٤٧ دار المعارف .

(٢) كامل المبرد ٤٣٣ ليبسك .

(٣) التحف والهدايا ص ٩٧ .

وليلةُ ميلادِ عيسى المسيـ ح قد طالبَتْنى بميثاقها
فهذى قُدورى على نارها وفاكهتى ملءُ أطباقها
وبِنت الدِّنان فقد أُبرِزَت من الخدر تُجلَى لعشّاقها
فكن مُهدياً لى فدتك النفوسُ فجودُك مُمسِكُ أرماقها
نظائرَ صُفراً غدَتْ فتنةً بلطف أنامل حُذّاقها
ومثلَ الأفاعى إذا أُلهبت وللرُّوم زُرقة أحداقها
ولم أرَ من قبلها أنفساً تذيب الجسومَ بإحراقها
وإن مرِضَتْ لم يكن برؤها بشىءٍ سوى ضَرْبِ أعناقها

وكانت وفاة أحمد بن يوسف الكاتب وزير المأمون سنة ٢١٣

المــــرأة :

من أعجب ماوجدتُه فى النصوص القديمة ماذكره صاحب القاموس فى مادة (حسن) أنه كان لعبد الملك بن مروان وهو مَن هُو ، مرجِّلة تتعهَّد شعره وترجِّله . ولايقف صاحب القاموس عند ذلك بل يعيِّن اسمَها فيقول : « واسمها حُسَينة » .

وهذا مظهَرٌ حضاريٌّ ليس من السهل أن يدور بخَلَد أحدٍ من الباحثين .

و « حُسينة » أيضاً : علَم نادرٌ من أعلام النساء ، لم أجدْ نظيره إلّا فى « حُسَينة اليسارية » صاحبةِ ابن ميَّادة الشاعر . وكانت جميلة ، منسوبةً إلى آل يَسار من موالى عثمان رضى الله عنه . وكانت حسينة هذه عند رجلٍ من قومها يقال له عيسى بن إبراهيم بن يسار . وكان ابن ميَّادة يزورها . وفيها يقول :

ستأتينا حُسينة حيث شئنا وإن رَغِمت أنوفُ بنى يَسارِ

ودخل عليها زوجُها عيسى يوماً فوجد ابنَ ميَّادة عندها ، فهمَّ به هو وأهلُها ، فقاتلهم ابن ميَّادة ، وعاونته عليهم حُسيَنةُ صاحبتُه حتّى أفلت ، وقال فى ذلك :

لقد ظلت تعاوننى عليهم صمَوتُ الحِجْل كاظمة السِّوارِ
وقَدْ غادَرْتُ عيسى وهو كلبٌ يقطِّع سلحَه خلفَ الجِدارِ [١]

أضخم مسيرةٍ للنساء :

كانت وفاة الإمام العظيم أحمد بن حنبل فى بغداد سنة ٢٤١ مثارَ حزنٍ وأسىً فى ربوع بَغداد . ووقَع المأتم والنَّوحُ فى أربعة أصناف من الناس : المسلمين ، واليهود ، والنصارى ، والمجوس ، كما يقول البغدادى فى تاريخ بغداد [٢] :

ويروى بسنده إلى بَنان بن أحمد القصبانى أنّه حضر جِنازة أحمدَ بنِ حنبلٍ مع من حضر . قال : فكانت الصفوف من الميدان إلى قنطرة ربع القطيعة ، وحَزَر من حضرها من الرجال ثمانمائة ألف ، ومن النساء ستّين ألفَ امرأة .

فأىُّ ضخامةٍ هذه ، وأى حضارة تلك ، وأى تنسيق وأىُّ نظام ؟؟

---

(١) الأغانى ٢ : ١١٠ .

(٢) تاريخ بغداد ٤ : ٤٢٢ .

نص نادر فى النساء :

أورد البخارى فى كتاب المغازى [١] فى غزوة الطائف ، أنَّ أمّ سَلَمة رضى الله عنها قالت :

دخل علىّ النبىُّ ــ ﷺ ــ وعندى مخنَّث ، فسمعه يقول لعبد الله بن أمية : ياعبدَ الله ، أرأيتَ أن فتح الله عليكم الطَّائف ، فعليك بابنة غَيلان ، فإنّها تُقبل بأربع وتُدبِر بثمان . وقال النبى ﷺ : « لايدخلنَّ هؤلاء عليكم » .

والذى يعنينا فى هذا النص هو تفسير « تُقبل بأربع وتُدبِر بثمان » ما الأربع وما الثمانى ؟ وكثيراً ماسُئلت عن هذا التأويل . وقد أورده ابن حَجر فى فتح البارى [٢] وقال : معناه أنها تقبل بأربع من العُكَن . والعكنة ، بضم العين : ماانطوى وتثنّى من لحم البطن سِمَناً . وأما إدبارها بالثمانى فلأن أطراف العُكن الأربع التى فى بطنها تظهر ثمانية فى جنْبيها : أربعة عن يمين ، وأربعة عن شِمال .

وقد عَثَرت على رواية أخرى فى اللسان (ستت) : « فإنها تمشى على ست إذا أقبلت ، وعلى أربع إذا أدبرت » . يعنى بالست يَدَيها وثدييها ورجليها . أى إنها لعظم ثدييها ويديها كأنّها تمشى مُكِبّة . والأربع رجلاها وأليتاها ، وأنّهما كادتا تمسان الأرض لعِظَمِهما .

---

(١) صحيح البخارى ٥ : ١٥٦ .

(٢) فتح البارى ٨ : ٢٥ / ١٠ : ٢٨٠ .

تأصيل بعض الكلمات :

١ ــ البَلَاط بمعنى قصر الملك أو الخليفة . كثيراً ماكنَّا نقرأ : تشريفات البلاط ، أخبار البلاط ، البلاط الملكى . والمعروف فى اللغة أنَّ البلاط كسحاب : الأرض المستوية الملساء . وهو أيضا : الحجارة التى تفرش فى الدار .

وهو كذلك كلُّ أرض فُرشت بالحجارة أو بالآجُرّ . وفى اللغة أيضاً أن البلاط اسم لعدّة مواضعَ وقرى ، منها بلاط مدينة الرسول الكريم بين المسجد والسُّوق ، وهو موضعُ مبلَّط . فالكلمة عربية قديمة ، كما أن استعمالها بمعنى القصر قديمٌ جداً كذلك . وجدته عند المسعودى المتوفى سنة ٣٤٥ ، عند الكلام على انتزاع نِقفور للمُلْك من رِينى امرأة أليون ابن قُسطنطين فى سنه ١٨٧ ، وهى فى بلاط بُنْتة بالقسطنطينية . يقول المسعودى :

« والبلاط : القصر . وفى هذا البلاط مِيناء عليه سلسلة ، فيه ينزل رُسُل العرب إذا قَدِموا للفِداء [١] » .

وجاء فى المعجم الوسيط أن البلاط قصر الحاكم وحاشيته ، وذكر أنّ الكلمة معربة . والقول بأنها معربة مع أنها عربية اللفظ وعربية الاستعمال أمرٌ يحتاج إلى تصحيح .

فقد ورد فى تسمية المواضع العربية (بيت البلاط) من قرى دِمشق بالغوطة . وكذلك (البلاط) : قرية بحلب ، يقول فيها الشاعر :

لولا رجاؤك مازُرْنا البلاط ولا ... كان البَلاطُ لنا أهلًا ولا سكنا

---

(١) التنبيه والإشراف للمسعودى ١٤٢ .

ودار البلاط : موضعٌ بالقسطنطينية كان سَيف الدولة يحبس فيه الأُسَراء ، وقد ذكره المتنبى فى شعره كما ذكره أبو العباس الصُّفرى شاعر سَيف الدولة ، وكان محبوساً ، فضربه مثلا وقال :

أُرانِيَ فى حبسى مقيماً كأننى ولم أَغْزُ فى دارِ البلاط مُقيم

وما بالنا نذهب بعيداً وشاعرنا الجاهلى أبو دُوَادٍ الإيادىُّ يذكر البلاط بمعنى القصر المَشِيد فى قوله (١) :

وأرى الموت قد تدلَّى من الحَضْـ ـرِ على ربِّ أهله السَّاطرونِ

صَرعته الأيام من بعد مُلك ونَعيمٍ وجوهرٍ مكنــونِ

ولقد كان فى كتائبَ خُضْر وبــلاطٍ يشاد بالآجُرونِ

البوريُّ ضربٌ من السمك :

وهى تسميةٌ لنوع من السمك شائعةٌ فى مصر . وقد يظنُّ بعضهم أنها تسمية حديثة ، حتّى ذهب كثير إلى أنها نسبة إلى بُورسعيد . وإنّما هى تسمية قديمة جداً ، يرجع العهد بها إلى ما قبل زمن ياقوت بن عبد الله الحَمَوىّ المتوفَّى سنة ٦٢٦ قال فى معجم البلدان : « بورة : مدينة على ساحل بحر مِصرَ قربَ دِمياط ، تنسب إليها العمائم البورية والسَّمَك البورىّ ، ومنها محمد بن عمر بن حفص البُورىّ » .

الشوربة والشوربجى :

الشُّوربة هى بالعربية الحَسَاء أو المرق ، ولا علاقة لها بمادة (شرب) العربية .

---

(١) ديوان أبى دُوَاد ٣٤٧ والتاج واللسان (بلط) والمعرَّب للجواليقى ٢١ .

جاء فى الفتح الوهبى [١] وهو شرح لتاريخ أبى نصر العتبى عند ذكر مجاعة وقعت بنيسابور سنة ٤٠١ :

« الشورباجه فارسى معرب ، بمعنى المرق » . وأنشد قول أبى محمد الزوزنى :

والبابَ أغلقْهُ عَلَيْـ ـكَ موثِّقا منه رِتاجَه
لا يقتضيك الجائعو نَ فيطبُخونك شُورَبَاجَه

وفى معجم استينجاس [٢] أن شورباج تعريب للفارسية القديمة « شُوربا » . ومن طرق التعريب عند العرب زيادة الجيم فى نهاية الكلمات المعربة ، كما قالوا فى موُزه بمعنى الخُفّ « مَوزَج » وفى نَشَاسته بمعنى النشا : « نَشاستَجْ » ، وفى بَنَفشَه لتلك الزهرة « بَنفسَج » ، وفى نبهره بمعنى الباطل « بَهرَج » ، وفى ديبا لضربٍ من الحرير : « ديباج » .

أمَّا الشُّوربجى فهى نسبة تركية إلى « شوربا » لصانعها أو القيِّم عليها .

والمعجم الوسيط يجعل الشُّربة عربيّة مولّدة إذ قال : « الشُّربة : الحُمْرة فى الوجه ، ومِقدار مايُروِى من الماء ، والحَسَاء . مولد [٣] » .

والحقُّ أنها فى استعمالها بمعنى الحَسَاء معرّبة تعريباً حديثا ، مأخوذة من التركيةِ الآخذة من الفارسية . وعربيتها : المَرق والحَسَاء .

---

(١) الفتح الوهبى ٢ : ١٢٨ وهو من المراجع النادرة التأليف ، فَقَلّ أن نجد شروحا لكتب التاريخ .

(٢) المعجم الفارسى الإنجليزى لاستينجاس ص ٧٦٥ .

(٣) يعنى أن استعمالها فى معنى الحساء استعمال مولد .

الفَذْلكــة :

فى القاموس : « فَذْلَكَ حسابه : أنهاه وفَرغ منه ، مخترعةٌ من قوله إذا أجمل حسابه : « فذلك كذا وكذا » . وهذا إشارةٌ إلى أن الكلمة منحوتة .

ومَرجع صاحب القاموس هو نصُّ الصاغانى المتوفَّى سنة ٦٥٠ فى التكملة ٥ : ٢٢٧ وبعده فى التكملة : « وهذه الكلمة مثل : فَهرس الأبوابَ فهرسةً ، إلّا أنَّ فَذْلَكَ ضاربٌ بعرقٍ فى العربية » .

وصاحب القاموس والصاغانى كلاهما لم ينصَّ على الفذلكة وإن كان مفهوماً أنها جملة الحساب والعدد .

وذكر المعجم الوسيط « الفذلكة » ، وفسَّرها بأنها مُجمَل ما فصِّل وخلاصته » وقرنها بعبارة « محدثة » ، مع أنَّ الكلمة مولدة توليدا قديما جدا . فقد وجدتها فى الفهرست لابن النديم [١] بمعنى نهاية التأليف وحصيلته . قال فى ترجمة أبى عمَر الزاهد المتوفى سنة ٣٤٥ : « ثم جمع الناسَ على قراءة أبى إسحاقَ الطبرى ، وسَمَّى هذه القراءة الفذلكة » .

وكانت وفاة ابن النديم أيضا سنة ٣٨٥ فالكلمة عمرها أكثر من ألف سنة . وليست محدَثة كما ذكر المعجم الوسيط .

---

(١) الفهرست لابن النديم ١١٣ .

كلمة الصابون :

فى المعجم الوسيط أن الصابون الذى تُغسل به الثياب والأبدان ونحُوها كلمةٌ دخيلة . وفى القول بأنها دخيلة نظر . فصنيع صاحب القاموس يفهم منه أن الكلمة عربية ، إذ يقول : « والصابون معروف حارٌّ يابس مُفْرح للجسد » .

وصاحب شفاء الغليل لم يذكره فى قليل أو كثير . وهو إيحاء بأنه عربى .

أما الجواليقى فى المعرب [١] فقال إنه أعجمى ، يعنى أنه معرب. وهو فى ذلك موافق لابن دريد (٣٢١) الذى قال فى الجمهرة [٢] : « فأما طالوت وجالوت وصابون فليس بكلام عربى ، فلا تلتفتْ إليه . وإن كان طالوت وجالوت فى التنزيل ، فهما اسمان أعجميان . وكذلك داود » .

وقال صاحب اللسان « : والصابون الذى تُغسَل به الثياب معروف . قال ابن دريد : ليس من كلام العرب » .

وجاء الأزهريُّ بعد ابن دريد بنحو نصف قرن فذكر أنه معرب .

وكان الصابون معروفا زمانَ ابن قتيبة المولود سنة ٢١٣ يقول فى كتابه المعارف [٣] : « وأول من عمل الصابونَ سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام » .

---

(١) المعرب للجواليقى ٥٤٠ .
(٢) جمهرة اللغة ٣ : ٣٩٠ .
(٣) المعارف لابن قتيبة ٢٤١ .

فكيف يقال فى كلمةٍ مثل هذه إنها دخيلة ؟ ! لعل أقل ماتوصف به أنّها معربة ، ومعرّبة تعريبا قديما أصيلا .

ولقد أنصفها العلاّمة ابنُ الطيّب الفاسى شيخ صاحب تاج العروس إنصافا بيّنا ، قال صاحب تاج العروس : « قال شيخنا ــ يعنى ابن الطيب ــ : هو مما توافقت فيه جميع الألسنة العربية والفارسية والتركية وغيرها » .

ولقد ذهب استينجاس فى معجمه ٧٧٧ إلى أن الكلمة فى الفارسية مأخوذة من العربية ورمز لها بالرمز A .

فى مجال التعبيـر :

كثيرا مايحار المرء فى اختيار اللفظ أو العبارة ليعرب عما فى نفسه .

١ ــ مثال ذلك أن يريد البكاء على عزيز عليه فلا تجيبه عينه ولا دمعته . وقد وجدت فى اللسان « الليث : التغبيض : أن يريد الإنسان البكاء فلا تجيبه العين . قال أبو منصور : وهذا حرف لم أجده لغيره » ونحوه فى القاموس .

٢ ــ ويريد أن يعبر عن مَن يسخر بِه فيستعمل حركة معينة كأن يحرك له أنفه ويقبضها .

وقد وجدت العرب قد عبروا عن هذا المعنى الدقيق المشاهد فى كل يوم. ففى اللسان : « ابن الأعرابى : كنّص إذا حَرّك أنفه استهزاء . ويقال كنّص فى وجه فلان ، إذا استهزأ به ». ونحوه فى القاموس .

٣ ــ ويريد أن يعبّر عن الواحدة من العظم بلفظ العَظْمة ، فيزجره

علماء اللغة المعاصرون ، ويأخذونه بأن يقول « عظم » للجمع وللواحد أيضاً إن أراد .

وقد وجدت فى تهذيب الأزهرى فى مادة (سهم) نقلا عن النضر ابن شُمَيل تلميذ الخليل ، وكان ممن أقام بالبادية دهراً طويلا مقداره أربعون سنة ، وجدت هذا النص فى مجال الكلام على سهام العرب : « والمريخ : الذى على رأسه العُظَيمة ، يرمى بها أهل البصرة بين الهدفين » .

ونقل هذا النص عنه صاحب اللسان . ولا ريب أن لفظ « العُظَيمَة مصغر عن مؤنث هو العظمة ، فتكون العظمة واحدةً للعظم .

٤ ــ ويتردد فى ذكر أيام العرب ومغازيها فى التعبير عن قلّة القوم بأنهم « أكَلَة جزور » . وقد حدث هذا فى غزوة بدر الكبرى ، حين قال أبو جهل لجماعةِ قريش : « إن محمداً وأصحابه أكَلَة جزور » .

وهى عبارة تحتاج إلى تفسير لم تذكره المعاجم . وليس أعلى وأوثق من تفسير الرسول الكريم لها ، حين سأل الغلامين اللذين وُجِدا على الماء ، قال لهما : كم القوم ؟ قالا : لا ندرى . قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالا : يوماً تسعاً ويوماً عشرا . فقال رسول الله ﷺ : « القوم فيما بين التسعمائة والألف » .

وتفسيره أن أكلة الجزور يكونون مائة عدًّا .

٥ ــ وكثيرا مانسمع هذا القول فى التعبير عن هوان الرجل الكريم فى بلدِهِ : « ليس لنبيّ كرامةٌ فى وطنه » .

ونظنّه حكمة حديثة ، أو نَرجِعه إلى عصور الإسلام الأولى على أكثر تقدير . والحقّ أنه أقدم من ذلك بكثير .عثرت عليه فى إنجيل يوحنا [١] . ونصه : « وبعد اليومين خرج من هناك ومضى إلى الجليل ، لأنّ يسوع نفسَه شهد أنه ليس لنبيّ كرامةٌ فى وطنه » .

وفى ظلّ هذا المعنى يقول المتنبى فيما قال فى صباه :

أنا فى أمة تداركها الله غريبٌ كصالحٍ فى ثمودِ

وهو مسبوق فى هذا بقول أبى تمام :

كان الخليفة يوم ذلك صالحاً فيهم وكان المشركون ثمودَا

من نوادر التسمية :

لأهل المغرب والأندلس بعض تسمياتٍ لاتجرى على المألوف . فنجد من أسمائهم : حَمُّود . ومنهم بنوحَمُّود الأندلسيون المنتمون إلى حَمّود بن ميمون بن أحمد بن على . وكان جدّهم أحمد بن على هذا يسمَّى حموداً أيضاً كما فى جمهرة ابن حزم .

ومن أسمائهم أيضا « عَبُّود » . وحمود وعبود تسميتان عربيتان فصيحتان . وممن ضُرب المثل به من العرب « عَبُّود » قالوا فيه : « أنوم من عَبّود » . وكان عبداً حطابا أسود ، فغَبر فى محتطبه أسبوعاً لم ينم ، ثم

---

(١) الاصحاح ٤ : ٤٤ .

انصرف فبقى أسبوعا نائما . فضُرِب المثل به لمن ثقل نومه .

وإذن فليس الأمر غرابةَ التسمية فحسب . ولكنّى وجدت نصا لأبى حيان الأندلسى فى كتابه « النضار » الذى ذكر فيه أول حاله واشتغاله ، ورحلته وشيوخه ، يقول فيه : « وهم يسمون عبد الله عَبُّودا ، ومحمَّدا حَمّودا » ذكر هذا النص السيوطى فى البغية (١) .

ونستطيع من نصّ ابن حزم السابق أن نقول : إنهم يسمون محمّدا أيضا حَمُّودا ، كما سموا أحمدَ حمُّودا . فكأن هذه الصيغة عندهم تسمية تدليل ، كما هو الشائع فى التسمية فى وقتنا هذا .

وأهل المغرب والأندلس يتسمون بزيدون وحَمْدون وفَتْحون ، ورحمون ، وحَسُّونَ ، وحَفْصون ، وسمحون .

وتعليل هذه التسمية قد يرجع إلى إرادة التفخيم بصيغة كصيغة الجمع . أو هو مَطْلٌ ، أى فى الإعراب مع التنوين . وتُعرَب هذه الأسماء إعراب الممنوع من الصرف . وفى الأشمونى (٢) أن أبا على يمنع صرفها للعلمية والعجمة ، ويرى أن حمدون وشبهه من الأعلام المزيد فى آخرها واوٌ بعد ضمة ، ونون لغير جمعية ، لا يوجد فى استعمالِ عربيّ مجبولٍ على العربية ، بل فى استعمال عجمى حقيقة أو حكما ، فألحق بما منع صرفه للتعريف والعجمة المحضة .

وهذا أيضا من النصوص النحوية النادرة .

وفيما يتعلق بالكنى والألقاب ، قال أبو حيان فى تفسيره ، عند قوله تعالى : « ولا تَنَابَزُوا بالألقاب » . قال :

---

(١) بغية الوعاة للسيوطى ٦١ .

(٢) شرح الأشمونى للألفية ٣ : ٢٦٣ .

« وفى الحديث : كَنُّوا أولادكم . قال عطاء فى تعليل ذلك : مخافة الألقاب . وعن عمر : أشيعوا الكُنَى فإنها سنة » .

ثم يقول أبو حيان : « ولاسيما إذا كانت الكنية غريبة لايكاد يشترك فيها أحد مع من تكنَّى بها فى عصره ، فإنّه يطير بها ذكره فى الآفاق ، وتتهادى أخبارَه الرِّفاق » .

ويستدل أبو حيان على أثر الكنية من واقِعِه الشخصى بقوله :

« كما جرى فى كنيتى بأبى حيان ، واسمى محمد ، فلو كانت كنيتى : أبا عبد الله ، أو أبا بكر ، مما يقع فيه الاشتراك لم أشتهر تلك الشهرة (١) . وهذا نصّ غريب يصدر من عالم جليل له علمه وفضله ، يقدّم لنا دراسة نفسيّة ، فى بعض أسباب الشهرة . ولم نَرَ مثْلَ هذا النص من قبل ولا من بعد لعالم فاضل . وقد سبقه فى هذه الشهرة أبو حيّان التوحيدى على بن محمد بن العباس المتوفى سنة ٤١٤ .



(١) تفسير أبى حيان ، البحر المحيط ٨ : ١١٣ . وكانت وفاة أبى حيان الأندلسى النحوى المفسر سنة ٧٤٩ بالقاهرة وهو محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيّان .



من كُنَّاشة النّوادر

- ٢ -

رجعتُ إلى كناشتى التى سَجَّلت بها نوادرَ رءوس المسائل لأصِلَ بحوثَ اليوم ببحوث الأمس ، حين تَقَبَّلَ مؤتمر العام الماضى كلمتى المتواضعة بما عدَدته قَبولًا حسنا .

وهذه سلسلة أخرى مما عنَّ لى فى أثناء التقليب .

ظواهر حَضارية :

من مظاهر تشجيع طلبة العلم ، مايُروَى عن الملك المعظم شرف الدين عيسى بن العادل بن أيوب ، صاحب دمشق .

قال ابن خلِّكان : وكان المعظَّم يحب الأدب كثيرا ، ومدَحه جماعةٌ من الشعراء فأحسَنوا فى مدحه ، وكانت له رغبةٌ فى فنّ الأدب ، كان قد شرط لكل من يحفظ المفصّل للزمخشرى مائة دينار وخِلعة ، فحَفِظَه لهذا السببِ جماعة . ورأيت بعضهم بدمشق ، والناس يقولون : إنه كان سبب حفظهم له هذا .

(*) انظر التعقيبات على البحث فى محاضر جلسات مؤتمر الدورة السادسة والأربعين (جلسة السبت (العلنية) ٥ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٠ هـ الموافق ٢٢ من مارس سنة ١٩٨٠ م) . وقد نشر هذا البحث فى الجزء ٤٥ من مجلة المجمع بتاريخ جمادى الآخرة سنة ١٤٠٠ المقابل مايو سنة ١٩٨٠ .

يقول ابن خَلّكان : « ولم أسمع بمثل هذه المنقُبة لغيره » . فهكذا كانت عناية الناس بعلوم العربية .

ومن طريف مايُروى عن يحيى بن خالد البرمكى ، أنه كان يعقد امتحاناً للشعراء ليرتّب لهم الجوائز حسب إتقانهم ، وجَودة أشعارهم . وجعل ذلك إلى أبان بن عبد الحميد اللاحقى .

ويروى أبو الفرج (فى الأغانى [١]) أن أباناً هذا جعل أبا نواس فى مرتبةٍ لم يرض عنها أبو نُوَاس ، فهجاه بأبياتٍ يقول فيها :

جالست يوماً أبانا ... لادَرَّ دَرُّ أبـــانِ
حتى إذا ماصَلاة الـ ... ـأُولَى دنَتْ لأوانِ
فقام ثَمّ بها ذو ... فصاحــــةٍ وبيـــانِ
فكلّ ماقـال قلنـا ... إلى انتهاء الأذانِ
فقال : كيف شهدتم ... بذا بغير بيـــان
لأشهَد الدهرَ حتّى ... تُعايـــنَ العينـــان
فقلت : سبحانَ ربِّى ... فقال : سُبحانَ مانِى

وكان أبان هذا ممن يرمى بالزندقة .

الإرشاد الصحى :

فى عصرنا هذا تظهر الجهود المكثّفة لمحاربة التدخين ، وتتعاون وسائل الإعلام فى الدعوة إلى محاربته . وقد قام أسلافنا العلماء من قديم بالدعوة إلى وأده فى مهده . وفى ذلك يقول محمد بن عبد المعطى الإسحاقى المتوفى سنة ١٠٦٣ فى كتابه (أخبار الأول ، فيمن تصرف فى

---

(١) الأغانى ٢٠ : ٧١ .

مصر من أرباب الدول [١]) وهو يذكر على باشا الوالى التركى من قِبل الدولة العثمانية سنة ١٠١٠ ، يقول : « وفى زمنه ظهر الدخان ، المضرُّ بالأبدان ، اليابس الطباع ، الذى لاشئ فيه من الانتفاع ، المبطل لحركة الجِمَاع ، المسوِّد للأسنان ، المهرِّب ملائكة الرحمن . بل ذكر أكثَرُ من أكثَرَ منه أنّ عاقبته وخيمة ، ومداومةَ شربه ذميمة ، يورث النَّتن فى الفم والمعدة ، ويُظلم البصر ، ويَطْلُعُ بخارُه على الأفئدة . ومَن زعم أن شربه محرق للبلغم ، فقد أخطأ فيما زعم ، بل ذمّ ».إلى آخر ماقال فى أسجاعه .

الجراحة الدقيقة :

ونستطيع أن نسمِّيها « جراحة التجميل » وقد عرفها العرب قديما وبَرَعوا فيها .

يقول الجاحظ [٢] :

رأيت كلبا مرة فى الحىّ ونحن فى الكُتّاب ، فعرَض له صبىٌّ يسمى مهديًّا من أولاد القصَّابين ، وهو قائم يمحو لوحَه ، فعضّ وجهَه فنقع ثنيتَه دون موضع الجفن من عينه اليسرى فخرق اللحمَ الذى دون العظم إلى شَطر خدّه ، فرمى به ملقيًّا على وجهه وجانبِ شدقه ، وترك مقلتَه صحيحة وخرج منه من الدم ماظننتُ أنه لايعيش معه ، وبقىَ الغلام مبهوتاً قائماً لَاينبِس ، وأسكنه الفزع ، وبقى طائر القلب . ثم خِيطَ ذلك الموضعُ ، ورأيته بعد شهر وقد عاد إلى الكتّاب وليس فى

---

(١) أخبار الأول للإسحاقى ص ١٦٦ .

(٢) الحيوان ٢ : ١٤ .

وجهه من الشَّتْر إلا موضع الخيط الذى قد خيط .

ويذكر الجاحظ أيضا فى الحيوان [١] تجربةً فى جراحة العظام عرفها الناس فى زمانه إذ يقول :

« وإذا نقص من الإنسان عظمٌ واحتيج إلى صِلته فى بعض الأمراض لم يلتحم به إلّا عظم الخنزير » .

ومع سذاجة هذا القول ، لِما نعرفه اليوم من التحام عظم الإنسان بعظمِهِ المأخوذ منه نفسِهِ ، أو من إنسان آخر ، إنّ هذا القول يصح أن يكون موضع تجربةٍ فى عصرنا هذا .

وليست نجاسة الخنزير بمانعة من استعمال أعضائه لضرورة العلاج ، فقد أجاز الفقهاء خَرز القِرب والأسقية بشعر الخنزير ، لماله من مزية واضحة . وفى المغنى لابن قُدامة المقدسى [٢] « رَخّص فيه الحسن ، ومالك ، والأوزاعى ، وأبو حنيفة ، لأنَّ الحاجة تدعو إليه » .

والخنزير نجس العين فى جميع الأديان كما فى سِفر اللاويين ١١ : ٧ والتثنية ١٥ : ٨ وإشعيا ٦٥ : ٤ وإنجيل متى ٧ : ٦ و ٨ : ٣٢ ومرقس ٥ : ١٣ ولوقا ٨ : ٣٣ وكما هو فى الشريعة الإسلامية بإجماع فقهائها ، استناداً إلى نصوص القرآن والحديث .

وقد وجدت القولَ بنجاسته تمتد جذوره إلى عقيدة قدماء المصريين فيما قبل سنة ٤٤٤ قبل الميلاد ، إذ يروى لنا المؤرخ اليونانى

---

(١) الحيوان ٤ : ٩٥ .

(٢) المغنى للمَقدِسى ١ : ٨٢

هيرودوتس الملقب بأبى التاريخ ، فى كتابه المترجم بقلم حبيب بسترس [١] ما نصه :

والمصريون يحسُبون الخنزير نجساً ـــ أى يعدُّونه ـــ فإذا اتفق لأحد أنْ يمسَّ خنزيرا ولو مارًّا به ، يبادر حالا إلى النهر ويطرح نفسه وثيابه ويغتسل . ولذلك لايسمح لرعاة الخنازير ، وإن كانوا مصريين ، أن يدخلوا الهياكل ، ولا أحدَ يزوِّجهم ابنتَه ، ولا يتزوج منهم ، بل يتزوجون بعضُهم من بعض . ولايؤذن للمصريين أن يذبحوا الخنازير إلا للقمر وباخوس ، وذلك فى وقت واحدٍ ، أعنى فى يوم مخصوص من السنة يكون القمر فيه بدرا ، وحينئذ يأكلون من لحمه » .

ثم يقول متسائلا : ولكن لماذا يكره المصريون الخنازير فى سائر الأعياد ويذبحونه فى العيد المذكور فقط ؟ يحتجُّون فى ذلك حجة لايناسب أن أوردها وإن كنت لأجهلها .

قلت : وأنا أقتدى بقوله أيضا ، فلا يناسب أن أوردها وإن كنت لأجهلها . وهى مسطورة فى حواشى المترجِم لكتاب هيرودوتس .

الإحصاء المـدنى :

من مظاهر الحضارة الرشيدة العناية بالأرقام فى مختلف الزوايا ، ولايستتب نظام أو حكم دون أن يعتمد على الأرقام فى تنظيم شئون الدول .

وقد عثرت على نص فى رسائل الجاحظ [٢] يذكر فيه أن آل أبى

---

(١) كتاب هيرودوت ص ١٣١ .
(٢) رسائل الجاحظ ٤ : ١٢٣ .

طالب أُحصُوا منذ أعوامٍ وحُصِّلوا ، فكانوا قريبا من ألفين وثلاثمائة ، ثم لايزيد عدد نسائهم على رجالهم إلا دونَ العُشر . وهذا عجَب .

يشير الجاحظ بهذا إلى فضيلة خُصَّ بها الطالبيون ، وهى فضيلة الإذكار ، أى إنجاب الذكور بكثرة ، مع أن المألوف فى النسل فى عالم الإنسان وعالم الحيوان والنبات أن يزيد عدد الإناث على عدد الذكور زيادة كبيرة . حكمةٌ بالغة من الخالق جل وعلا ، للحفاظ على بقاء النوع .

ثم يذكر لنا الجاحظ صورةً من طرق الإحصاء الدقيق فيقول :

وإنْ كنتَ تريد أن تتعرف فضلَ البنات على البنين ، وفضلَ إناثِ الحيوانات على ذكورها . فابدأ فخُذْ أربعين ذراعاً من عن يمينك ، وأربعين ذراعاً من عن يسارك ،وأربعين خلفَك وأربعين أمامك ، ثم عُدّ الرجال والنساء حتى تعرف ماقلنا . فتعلم أن الله تعالى لم يُحلِلْ للرجل الواحِدِ من النساء أربعاً ثم أربعا متى وقعَ بهم موتٌ أو طلاق ثم كذلك للواحِدِ مابين الواحدة من الإماء إلى مايشاء من العدد ، مجموعاتٍ ومفترقات إلا لحكمةٍ ، وذلك لئلاّيبقين إلا ذواتِ أزواج .

أليس هذا قمةً من قمم وسائل الإحصاء ؟ !

استعمال الشوكة والسكين :

ومن المظاهر الحضارية مانظنُّه محدَثا ، وهو قديم جداً ، ومن ذلك تناول الطعام بالشوكة والسكين .

نجد فى كتاب (الرد على الشعوبية) لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ [١] وهو يوازن بين طريقتى تناول الطعام عند العرب والفرس ، نصاً يقول فيه وهو يعيب الفرس :

« وأمّا أكلهم بالبارجين والسكين فمفسِدٌ للطعام ، ناقصٌ للذّته . والناس يعلمون ، إلا مَن عاند منهم ، وقال بخلاف ماتعرفه نفسُه ، أنَّ أطيبَ المأكول ماباشَرَتْه كفُّ آكله ، ولذلك خُلقت الكفّ للبطش والتناول ... والتقذّرُ من اليد المطهَّرة ضعف وعجب . وأولى بالتقذر من اليد : الريق والبلغم والنخاع الذى لايسوغ الطعام إلّا به . وكف الطباخ والخباز تباشره . والإنسان ربَّما كان منه أقل تقذرا وأشد أنسا .

تعليم الحيـــوان :

لكلِّ حيوان مما خلق الله قدْرٌ من الذكاء قلَّ ذلك أو كثر ، حتى الحمارُ وهو مَضرِب المثل فى الغباء ، أمكن للإنسان أن يلج به بابَ التعليم والتدريب .

ومما يروى عن القدماء فى هذا المجال ، ماكان ممن يُدعى : الأسودَ الكذّاب العَنْسى : أحد المتنبئين باليمن فى صدر الإسلام ، وكان يلقب « ذا الحمار » . يقول المسعودى فى التنبيه والإشراف [٢] : « كان له حمارٌ قد راضَه وعلَّمه ، فكان يقول له : اسجدْ فيسجد . ويقول له : اجثُ ، فيجثو . وغير ذلك من أمور كان يدَّعيها ، ومخاريقَ كان يأتى بها ، يجتذب بها قلوبَ متَّبعيه .

---

(١) انظر رسائل البلغاء لمحمد كرد على ص ٣٧٠ .
(٢) التنبيه والإشراف ص ٣٤٠ .

المكاتَبــون :

ومن المظاهر الحضارية القديمة التى بادت أو أوشكت أن تبيد فى عصرنا الحاضر : نظام الرَّقيق ، الذى كان لدولة الدنمرك فضلُ السبق إلى تشريع تحريمه فى سنة ١٧٩٢ ليكمل تمام تنفيذه فى سنة ١٨٠٢ .

ومن المعروف فى الشريعة الإسلامية أنّ وسائل التخلص من الرق ، هى : العِتق ، والتدبير ، والمكاتبة .

والتدبير : أن يقول المولى لعبده : أنت حر بعد موتى ، أو دُبُرَ موتى . فهذا هو العبد المدبَّر ؛ يَعتِق بعد وفاة سيده .

والمكاتبة : أن يشترط السيِّد على عبده أن يسعَى ، ليقدِّم إليه قدراً معينا من المال أو من عُروض التجارة ، إذا أدّاه إليه فكّ رقبته وأمسى حراً . ويكتبان بذلك عهدا .

فمن النصوص الغريبة ما وجدته فى كتاب المحبر لابن حبيب [١] المتوفى سنة ٢٤٥ وهو يعرض صورةً توحى بمبالغة هؤلاء السادة فى إرهاق العبيد ، بتحصيل أموالٍ طائلة منهم فى مقابل عِتقهم .

وكانت حدود المكاتبة مابين عشرين ألف درهم إلى مائة ألف . ومن عَجَب أن معظم هذه الأموالِ كانت حصيلةَ جهد هؤلاء العبيد فى التجارة ، وهى تجارة الرقيق ، وفى بيع المواشى من الإبل والبقر والغنم .

وقد نبغ كثيرٌ من أبناء هؤلاء المكاتَبين الموالى ، منهم الجعد بن

---

(١) المحبر لابن حبيب ٣٤٠ ــ ٣٤٧ .

قيس الهمدانى ، والمهلَّب بن طلحة الكاتب ، ومحمد بن سيرين المحدث الفقيه ، وغيرهم كثير .

المولى من فوق :

وبمناسبة ذكر المكاتَب والسيِّد ، نجد فى بعض كتب التاريخ والأنساب قولهم : هو مولاه من فوق ، وهو مولاه من تحت ، فماذا يؤدى التعبير فى كُلٍّ منهما ؟

إن لفظ المولى من أضداد اللغة ، يقال للعبد : هو مولًى من الموالى ، ويقال للسيد مولى أيضاً ، فمن أجل هذا الالتباس يلجأ بعض المؤرِّخين الذين يلتزمون الدقة ، إلى رفع هذا الالتباس الذى يعرض فى بعض المواطن بقولهم : « مولى فلان من فوق » أى هو سيِّده ومالكه ». كما يقولون : « مولى فلانٍ من تحت » إذا كان المولى هو العبد والمملوك .

وتجد هذا الضوء فى جمهرة ابن حزم [١] وما أثبت فى حواشيها من تحقيق .

ألفاظ حضارية

المـوجَّـه :

عرف العربُ قديماً تلك الثيابَ ذواتِ الوجهين : وجه يحمل لوناً خاصاً ، وخلفه وجه آخر يحمل لوناً ، وهو مايطلق العامة عليه ألفاظاً دخيلة « دبل فاس » : أو : « دبل فيس » . ولغتنا ذات الثراء المكنوز

---

(١) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ١٤٢ .

تسمِّيه فى كل يُسر « الموجَّه » . جاء فى اللسان (١) : « وكساءٌ موجَّه أى ذو وجهين »

وكذلك فى القاموس وغيره من المعاجم . وأجدِرْ بنا أن نَئِدَ هذا اللفظ الدخيل ونستعلىَ عليه بلغتنا الفصيحة الكريمة .

الجُمَّـة :

لعل من المظاهر الحديثة التى قد نظنُّ أنها محدثة ، لُبس الشعر المستعار ، الذى نقلنا استعماله حديثاً فى الشرق من الفِرنجة ، وهو ما تسمِّيه اللغة الحديثة « الباروكة » ، وهى فى الفرنسية Peruque وفى الإنجليزية : wig ، وإنما هذه بضاعتنا رُدَّت إلينا . وكان من أسلافنا فى عهدٍ قديم جداً من يلبسها . وكانت تسمى بالعربية الفصيحة « الجُمَّة » وهى مايجب أن تصير إليه الكلمة فى وقتنا الحاضر .

يروى أبو الفرج فى الأغانى (٢) أن ابن سُرَيج هو أوَّل من ضَرَب بالعود فى الغناء العربى فى مكة ، وكان قد رآه مع العَجَم الذين قدم بهم ابنُ الزُّبير لبناء الكعبة بعد احتراقها ، وقد أعجِب الناسُ بغنائهم فقال ابن سُريج : أنا أضرب به على غنائه . فضرب به فكان أحذقَ الناس .

الذى يَعنينا فيما روى أبو الفرج هنا هو قوله : « أن ابن سريج كان آدم أحمر ظاهر الدَّم سِنَاطا (٣) ، فى عينيه قَبَل (٤) ، وأنه بلغ خمساً

---

(١) لسان العرب مادة (وجه) ص ٤٥٦ .

(٢) الأغانى ١ : ٩٥ .

(٣) السناط بكسر السين وضمها : الذى لا لحية له .

(٤) القبل فى العين : إقبال إحدى الحدقتين على الأخرى أو على الموق .

وثمانين سنة ، فصَلِع فكان يلبس جُمَّة مركَّبة . وأصل الجمة مجتمع شعر الرأس ، وما سقَطَ منه على المنكبين . وفى الحديث : « لعن الله المجمِّمات من النساء » ، وهنّ اللواتى يتَّخذن شعورهن جُمَّة ، تشبُّها بالرجال .

لفظ الزوّار واطلاقه على طلاب المعروف :

ومن مظاهر المروءة والنُّبل عند البرامكة ماوراه أبو الفرج فى الأغانى (١) من قول العباس بن خالد بن برمَك قال : كان الزُّوَّار يسمَّون من قديم الدهر إلى أيام خالد بن برمك ــ يعنى والده ــ بالسُّؤَّال : (جمع سائل) ، فقال خالد : هذا والله اسم أستثقله لطلّاب الخير ، وإنِّى لأرفع قَدْرَ الكريم عن أن يسمَّى به أمثال هؤلاء المؤمِّلين ، لأنّ فيهم الأشرافَ والأحرار ، وأبناءَ النعيم ، ومَن لعلّه خيرٌ ممن يقصِد وأفضل أدباً ، ولكنَّا نسميِّهم الزوار : (جمع زائر) . وكان بشَّار بن بُردٍ حاضراً ، فقال مرتجلا يمدحه بذلك :

حَذا خالدٌ فى فعله حَذْوَ برمك ... فمجدٌ له مستطرَف وأصيلُ
وكان ذوو الآمال يُدعَوْن قبله ... بلفظٍ على الإعدام فيه دليلُ
يُسمَّون بالسُّؤَّال فى كلِّ موطنٍ ... وإن كان فيهم نابهٌ وجليلُ
فسمَّاهمُ الزُّوَّارَ ستراً عليهمُ ... فأستاره فى المهتدين سدولُ

فأعطاه لكلِّ بيت ألفَ درهم .

---

(١) الأغانى ٣ : ٣٦ .

تاريخ ألفاظ

العاصمة والعواصم :

دَرَجنا على أن نسمِّىَ قاعدة القطر أو الإقليم عاصمة ، وكانت قديماً تسمى: « القَصَبة ، والقاعدة ، والمدينة » ، على حين تذكر المعاجم المتداولة العواصم بأنها بلادٌ قصبتها أنطاكية كما فى اللسان والقاموس ، وزاد صاحب القاموس أنَّ العاصمة المدينة أيضاً . ويذكر ياقوت فى معجم البلدان أنَّ العواصم حصونٌ موانعُ وولاية تحيط بها بين حَلب وأنطاكية ، وقصبتها أنطاكية ، وربَّما دخل فى هذا ثغور المصيصة وطَرَسوس .

وتاريخ هذه التسمية ــ أى العواصم يرجع إلى عهد قديمٍ هو بالتحديد سنة ١٧٠ هـ . يقول الطبرى [١] : وفيها ــ أى فى تلك السنة ــ عَزل الرشيد الثغورَ كلَّها عن الجزيرة وقِنَّسرين ، وجعلها حيِّزاً واحداً ، وسمِّيت العواصم .

وإذن فإطلاق العاصمة على قصبة القطر أو قاعدته تسميةٌ حديثة جداً ، إذ لا تعرف المعاجم العواصم إلا أنَّها أسماء بلاد معينة . وقد سجَّل المعجم الوسيط هذه التسمية الحديثة . فقال إن العاصمة المدينة ، وتطلق على قاعدة القطر أو الإقليم .

النسبة إلى البــلاد :

لم يكن العرب القدماء يعرفون نسبة الرِّجال إلى البلاد ، إذ كانت

---

(١) فى تاريخه ٨ : ٢٣٤ .

حياةُ جمهورهم بين الانتجاع والارتياد ، لا يَقِرُّ لهم فى ذلك قَرار . وإنّما كانوا ينتمون إلى شئ ثابت هو القبيلة . التى يَقرُّون بها ، ويحتمون بها ، ويخضعون لقوانينها . فالعربُى قرشىٌّ ، وتميمىٌّ ، وهُذَلىٌّ ، وسَعدىٌّ ، وجُهنىٌّ ، وبكرىٌّ . وإذا عزَّ عليه الانتماء إلى الفخذ انتمى إلى البطن ثم إلى العِمارة ، ثم إلى الفصيلة ، ثم إلى القبيلة ، ثم إلى الشعب الكبير : العدنانىّ ، أو القحطانى ، أو القضاعى ، على ما فى القضاعى من خلاف .

ومن النادر جدّاً أن ينتمىَ العربىُّ إلى موطنٍ معين . فمن هذه النوادر ما ذكر فى نسب الشاعر (عارق الطائى) ، واسمه قيس بن جِروة ، قالوا فى نسبته : « الطائى الأجَئى » . فاحتفظوا بنسبته الأصلية ، وهى الطائى ، وأضافوا إلى نسبته « الأجئى » وهى نسبة إلى أجأ : أحد جبلَىْ طيِّئ : أجأ وسلمى [1] . وفى الخزانة [2] « ويقال لولده : الأجئيون ، لإقامتهم بأجأ » .

وعارق هذا : شاعر جاهلى ، وكان يعاصره شاعرٌ آخر هو ابن عمِّه . وله هذه النسبة البُلدانّية أيضا . وهو ثُرُملة بن شعاث بن عبد كُثْرَى الأجئى . ذكره التبريزى فى شرح الحماسة [3] بهذه النسبة ، وقد ذكره ابن دريد فى الاشتقاق [4] بدون هذه النسبة البلدانية .

---

(١) الأغانى ١٩ : ١٢٧ س ٢٧ .
(٢) الخزانة ٣ : ٣٣١ .
(٣) شرح التبريزى للحماسة ٤ : ٢١ .
(٤) الاشتقاق ٣٩٣ . وكثرى ككبرى : صنم لجديس وطسم .

قاضى القضاة :

لقب يظهر فى ثنايا التاريخ الإسلامى حيناً ثم يختفى ثم يظهر . ويراد به القاضى الأكبر ، أو شَيخ القضاة ، أو وزير العدل بالمفهوم المعاصر . ومن ألمع مَن حَمَل هذا اللقب ابن دقيق العيد القُشَيرى المنفلوطى المالكى الشافعى ، واسمه محمد بن على بن وهب . ولد بينبع سنة ٦٢٥ وتوفى سنة ٧٠٢ [١] وقاضى القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم المعروف بابن جماعة ، المولود بحماة سنة ٦٣٩ والمتوفى سنة ٧٣٣ .

ولعل أقرب سلسلةٍ منه فى بلدنا مصر كانت فى المناصب القضائية التى يُوفَد فيها القضاة الكبار من مصر إلى القطر الشقيق السودان. وأوّل من ظفر بهذا المنصِب الخطير فى السُّودان هو العلاّمة المغفور له الشيخ محمد شاكر وذلك فى سنة ١٨٩٩ ، وتلاه والدى المغفور له الشيخ محمد هارون ، ثم الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغى ، ثم الشيخ محمد أمين قراعة ، ثم الشيخ نعمان الجارم ، ثم الشيخ حسن مأمون الذى كان آخر قاضٍ للقضاة من مصر فى السودان إثر محاولةِ فصل السودان عن مصر فى سنة ١٩٤٢ .

وهذا اللقب القضائى قديمٌ جداً يرجع إلى سنة ١٦٦ من الهجرة ، وهى السنة التى تولى فيها أبو يوسف القاضى ، أحد صاحبى الإمام أبى حنيفة ، القضاءَ فى بغداد ، إذ ولَّاه موسى الهادى بن محمد المهدىِّ القضاء ، ثم هارون الرشيد بن محمد المهدى من بعده .

---

(١) وفيات الأعيان ٢ : ٢٨٤ .

قال الخطيب البغدادى فى كتابه « تاريخ بغداد [١] » : « وهو أول من دُعِىَ بقاضى القضاة فى الإسلام » .

وكذا أورد هذا الخبرَ الشيخُ علاء الدين على دَدَه السكتوارى فى كتابه « محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر [٢] » .

ولم أذكر هذه النبذة تنويهاً بأسماء من ذُكر فيها فيما قد يُظَنّ ، وإنما أثبتها توديعاً لهذا اللقب العربى الذى زالَ من عالمنا العربى الإسلامى ، وكان ختامُ زواله فى مصرنا الرائدة العزيزة . ولله الأمر من قبل ومن بعد .

سـوريا :

مِن عجب أن نجد فى معجم البلدان لياقوت ما صورته : « سورية موضع بالشام بين خُناصرة وسَلَمْية ، والعامة تسمّيه « سوريّة » أى بالتشديد . هذا ما كان فى القرن السابع الهجرى .

لكن العلاّمة الجغرافى المسعودى المتوفى سنة ٣٤٥ أى فى القرن الرابع الهجرى يذكر فى التنبيه والإشراف [٣] مانصُّه : « والروم يسمون بلادهم أرمانيا ، ويسمون البلاد التى سكانها المسلمون فى هذا الوقت من الشام والعراق : سوريا . والفرس إلى هذا الوقت تقارب الروم فى هذه

(١) تاريخ بغداد ١٤ : ٢٤ .
(٢) محاضرة الأوائل ص ٦٣ .
(٣) التنبيه والإشراف للمسعودى ١٥٠ .

التسمية ، فيسمُّون العراق والجزيرة والشام : سورستان ، إضافة إلى السُّريانيين الذين هم الكَلدانيون . ويسمَّون ــ أى الكلدانيون ــ سريان ولغتهم سورية ، وتسمِّيهم العرب : النَّبط » .

ونحو هذا فى معجم البلدان فى رسم (سورستان) ، إذ يقول : « وقال أبو الرَّيحان : والسريانيون منسوبون إلى سورستان وهى أرض العراق وبلاد الشام . غير أن هرقل ملك الروم حين هربَ من أنطاكية أيام الفتوح إلى القسطنطينية ، التفتَ إلى الشام ، وقال : عليك السلام ياسورية ، سلام مودِّع لايرجو أن يرجع إليها أبداً »

يقول ياقوت : وهذا دليل على أن سوريا هى بلاد الشام .

ويقول صاحب القاموس المتوفى سنة ٨١٧ : إنّ سورية مضمومة مخففة اسمٌ للشام . ويعقب عليه مرتضى الزَّبيدى المتوفى بعده بأربعة قرون سنة ١٢٠٥ ، بقوله « فى القديم » . ثم يقول : « والكلمة رومية » أى كما قال المسعودى من قبل .

وهكذا . لانجد فى القديم إلَّا اضطرابا فى دلالة هذه التسمية التى استقرت الآن فى أحد أقاليم الشام بوضع جغرافى وسياسى معين ، بعد أن ظلت ردحاً من الزمان كورة من كور الشام التى تشمل أجناد قِنَّسرين ودمشق ، والأردن ، وفلسطين ، وحمص ، بخلاف الثغور وهى : المصيصة ، وطرسوس . وأذنة ، وأنطاكية ، وجميع العواصم . ثم صارت فى التقسيم المعاصر إلى : لبنان وفلسطين وسوريا والأردن .

الـــزِّير :

كلمة عربية معناها الدَّنّ . والدنّ : وعاء كهيئة الحُبّ ، إلّا أنَّه

أطوَل ، مُستوِى الصنعة ، فى أسفله كهيئة قونس البيضة . أو الدنّ ، أصغر من الحُبّ ، له عُسعُس ، فلا يقعد إلّا أن يُحفَر له .

ومادته يائية لا واوية . وأما قولهم : زير نساء فاشتقاقه من الزيارة ومادته واوية . يقال فلان زير نساء ، إذا كان يحب زيارتهنّ ومحادثتهنّ ومجالستهنّ . وقد تقول العامة : « زئر نساء » ، وهو خطأ واضح .

ومن طريف مايروى عن قضاة الأندلس أنه كان منهم قاضٍ اسمه « أبو الزِّير أحمد بن وهب » . قال الخشَنى المتوفى سنة ٣٦١ فى كتابه (قضاة قرطبة وعلماء إفريقية [١]) : وكنى بأبى الزِّير لأنه عمل نبيذاً فى زير ، وأراد أن يذوقه ، ولم يجد آنية يدخلها فى الزير ، فأدخل رأسه فى الزير ثم لم يستطع أن يخرجه حتّى كُسر الزير ، فكنى بأبى الزير .

المقُنِدل :

قد نظنُّها كلمة حديثة ، ونسمعها حينا تُقال فى معرض السِّباب أو السُّخرية بمن يجلب لنفسه سوءاً ، أو لغيره سوءَ الحظّ ، أو يأتى أمراً منكرا . والكلمة مولَّدة قديمة التوليد ، مأخذها من القِنديل . وكانوا يقولون لمن يتعهَّد قناديل الزيت « مقندل » .

ومن طريف الأخبار مايرويه الخالديان (توفى آخرهما سنة ٣٩٠) فى كتاب التحف والهدايا [٢] مما حدث به أبو بكر محمد بن يحيى الصولى المتوفى سنة ٣٣٦ قال :

---

(١) قضاه قرطبة للخشنى ص ٥١ .

(٢) كتاب التحف والهدايا ص ١١٩ .

اختصم رجلان إلى قاضٍ ، وكان أحدهما أعَدّ للقاضى هدية ــ فأراد القاضى أن يقضىَ عليه بحق وجب . فدنا منه ــ أى صاحب الهدية ــ فقال مُسِرًّا إليه : قد أهديت إلى القاضى شبابيط دِجْلية ، وفراريج كَسكرية ، وجُبنةً دينوَرية ، وشُهدة روميّة (١) . فقال القاضى : قم ! وصاح : هذا مما تسارُّنى به ؟ ! إذا كانت لك بيِّنة بالرّىّ انتظرناها وأخَّرنا الحكم وأجَّلناك !

فقال الغريمٌ فى ذلك :

إذا ماصُبَّ فى القنديل زيتٌ تحوَّلت الحكومةُ للمُقَندِلْ
وعند قضاتنا حكم وعلم وبَذْرٌ حين تَرشُوهم بسُنبُل

الشطرنجة :

الشِّطرَنج بدون هاء كلمة معربة تعريباً قديما ، وإن لم يكن العرب فى جاهليتهم يَعرفونها ، وإنّما وفدت إليهم بعد اختلاط العرب بالأعاجم من الفُرس والهند . وهى لعبةٌ معروفة كانت ذاتَ صور شتى فى القديم ، من حيث نظامُ رقعتها ، وعددُ بيوتها ، ومن حيث نوعُ القطع التى يُلعَب بها ،وعددُها ، وأسماؤها .

وتذكر دائرة المعارف الإسلامية أنها كانت معروفة عند قدماء اليونان ، وانتقلت إلى أمم شتى . ويزعم العرب ــ على حد قول الدائرة ــ أنهم أخذوها عن الهنود . ويذكر التاريخ أن هارون الرشيد أهدى إلى شارلمان فيما أهدى رُقعة شطرنج .

---

(١) نسبة إلى دجلة ، وكسكر ، والدينوَر ، والروم .

ومن أسماء قِطَعهِ « الرُّخّ » ، وأصله اسم لطائر خرافى ، ثم أطلق على القطعة التى تسمى الآن « الطابية » أو « القلعة » . وفى اللسان والقاموس أنّ الرخَّ من أداة الشِّطرنج يقول عمر الخيام :

وإنَّما نحنُ رِخاخ الفضاء ينقلنا فى اللَّوح أنّى يشاءْ
وكلُّ من يَفرُغُ من دَوره يُلقَى به فى مستقَرِّ الفناءْ

وفى الرُّخّ أيضا يقول السرِيُّ الرَّفّاء :

وفتيةٍ زَهَـر الآدابِ بينهم أبهى وأنضرُ من زَهر الرَّياحينِ
راحوا إلى الرّاح مَشْىَ الرُّخّ وانصرفوا والراح يمشى بهم مَشْىَ البراذينِ

الذى أريد أن أضيفه : أنِّى عثرت على لفظ « الشِّطرنجة » مؤنثة فى غير مادتها . وهى مادة (كرب ٢٢٥) من اللسان . وقد ورد فيها : « والكوبة : الشِّطرنجة » .

وعلى ذلك يحسن أن تضاف هذه الكلمة إلى المعاجم التى يصدرها مجمعنا الموقر .

بعض قضايا العربية

الإمَّعة والطفيلى :

كان لظهور الإسلام تأثير سريع فى تطوير اللغة بما أضاف من اصطلاحات دينية ، واجتماعية ، وسياسية .

ومن باكورات هذا التطوير كلمة « الإمّعة » ، وهو الرجل الضعيف الرأىِ المتهافت ، الذى يقول لكلِّ أحد : أنا معك . ولم يكن العرب قبلُ يعرفون الكلمةَ بهذا المعنى ، وإنّما يعرفونها بمعنى الرجل الذى يَتبع الناس إلى موائد الطَّعام من غير أن يُدعى . ويروون فى ذلك

عن عبد الله بن مسعود قوله : « كنّا فى الجاهلية نعُدُّ الإمَّعة الذى يتبع الناس إلى موائد الطعام من غير أن يُدعَى ، وإنّ الإمَّعة فيكم اليوم المُحقِبَ الناسَ دينَه » ، أى الذى كأنَّه يضع دِينه فى حقيبة غيره ، فغيرُه هو الذى يوجِّهه فى أمور دِينِه وتقلُّبات رأيه .

وتسمية مَن يتبع الناس إلى الطَّعام أقدم بلا ريبٍ من تسمية « الطُّفيلى » ، لأن الإمَّعة كلمة جاهلية ، يرادفها أيضا كلمة « الوارش » ، وهو الذى يدخل على القوم فى طعامٍ لم يُدْعَ إليه .

وأما الطُّفيلى فهى كلمة إسلامية بلا ريب ونِسبتها إلى رجل كوفيّ من بنى عبد الله بن غَطَفان ، كان يدعى طُفيل الأعراس أو العرائسِ ، واسمه طُفَيل بن دلال ، كان يأتى الولائم دون أن يدعَى إليها ، وكان يقول : « لوَدِدت أنّ الكوفة كلها بِركةٌ مصَهْرَجة فلا يخفى علىَّ شىء منها » . فكان العرب يقولون فى أمثالهم :

« أوغل من طفيل » ، و « أطمع من طفيل » .

التصغير على فِعَيْل :

أجمعت كتب النحو على أنَّ صيغ التصغير فى الأسماء المعرَبة منحصرة فى صيغ ثلاث : فُعَيل ، وفُعيعِل ، وفُعيعِيل .

ويذكر ابن يعيش [١] وتبعه كذلك الشيخ خالد فى شرح التصريح ، [٢] ، أنّ هذه الأمثلة من وضع الخليل ، وأنَّه قيل له:لم بنيت

---

(١) شرح المفصل ٥ : ١٦ .

(٢) التصريح ٢ : ٣١٨ .

المصغَّر على هذه الأبنية ؟ فقال : لأنِّى وجدت معاملة الناس على فَلْس ، ودِرهَم ودِينَار .

وقد عثرت على صيغة رابعة نادرة ، هى صيغة فِعَيْل ، وهى الصيغة الأولى نفسُها لكنَّها بكسر الفاء . جاء فى الاشتقاق لابن دريد [١] : « وشِيَيم : تصغير أشيم ، وهو الذى له شامة فى أىِّ موضع من جسده ؛ والأنثى شيماء » . ولم أجد هذا النصَّ على هذه الصيغة فى غير كتاب « الاشتقاق » . ويعزِّزه ما جاء فى المشتبه للذهبى [٢] من ضبطه بالكسر فى موضعين ، وما جاء فى القاموس (شيم) من قوله : « وشُيَيم ويكسر : أبو عاصم الصحابى » . فهذا هذا .

نائب الفاعل :

قد يُظنُّ أن هذا المصطلح النحوىَّ قديمٌ أصيل ، وإنَّما هو مصطلح طارئ ابتدعَه نحوىٌّ متأخر ، هو محمد بن عبد الله بن عبد الله ابن مالك صاحب الألفية ؛ أى فى القرن السابع الهجرى ، إذ كانت حياته بين سنتى ٦٠٠ ، ٦٧٢ .

قال أبو حيَّان : لم أر مثل هذه الترجمة إلّا لابن مالك . وقال الشيخ الخضرى فى حاشيته على الألفية : هذه الترجمة مصطلح المصنِّف ، وهى أولى وأخصر من قول الجمهور : المفعول الذى لم يسم فاعله ، لأنه لا يشمل غير المفعول مماَّ ينوب ، كالظَّرف ، ولأنهّ ـــ أى قول الجمهور ـــ يشمل المفعول الثانى فى نحو : أعطى زيد دينارا .

---

(١) الاشتقاق ١٩١ .

(٢) المشتبه ٣٩٢ .

فالتسمية القديمة إذنْ غير جامعة لأنها تخرج الظروف ، وغير مانعةٍ لأنّها تُدخل المفعول الثانى .

ويقول ابن الطيب الفاسى المتوفى سنة ١١٧٠ فى شرحه لاقتراح السيوطى المسمى « فيض نشر الانشراح ، من طى روض الاقتراح [١] » فى الورقة ١٠٢ ا : « والتعبير بالنائب أحسَنُ وأخصر ، كما قاله ابن هشام وغيره . وأول من عبَّر به الشيخ ابنُ مالك . وعبارة الأقدمين : المفعول الذى لم يسم فاعله ». يشير بذلك إلى ما ورد فى كتاب الإعراب عن قواعدِ الإعراب لابن هشام [٢] .

وابن مالك هو أيضاً صاحب اصطلاح البدَل المطابق ، لبدل الكلّ من الكل . وصاحب اصطلاح المعرَّف بأداة التعريف ، بدلًا من المعرف بأل أو باللام ، ليشمل المعرّف بأمْ فى لغة حِمْير .

المشـالة :

يقولون فى الضوابط اللغوية : الباء الموحَّدة ، التاء المثنّاة من فوق ، الياء المثناة من تحت . وكذلك يقولون : الحاء المهملة والخاء المعجمة . وهذا كلُّه واضح الاشتقاق . ولعلَّ أغرب تلك الضوابط قولهم : الظاء المشالة ، التى يقال لها أيضا : الظاء المعجمة . ولم أجد من علَّل هذه التسميةَ إلّا الخفاجى فى مقدّمة شفاء الغليل [٣] إذ يقول : « وتسمى

---

(١) مخطوطة دار الكتب برقم ٢٢٤ نحو .

(٢) الإعراب ، لابن هشام ١٤٧ .

(٣) شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل ص ٧ .

مشالة لرفع خطِّها بالألف فرقاً بينهما وبين الضاد ، مِن شال بمعنى ارتفع » . وفى همزية البوصيرى :

وبهِمْ فَخْرُ كلِّ من نطق الضا دَ فقامت تغار منها الظاءُ

لأنه عند الغَيرة يقوم الشخص . ولذلك يُكنَى عن الأمر العظيم بالمُقِيم المقعد . ولابن نُباتة من قصيدة نبوية :

سَرى بى فى حُروف اللفظ سرٌّ لمنطقِـهِ ولـلضاد اجتبـاءُ
ألم ترَ أنّها جلست لفخرٍ وقامت غيرةً للضاد ظاءُ

وهى من قولهم : أشال الحجرَ ، وشال به يشول ، إذا رَفَعه .

كتاب القوافى لسيبويه :

ليس إمام النحاة سيبويه بالنَّكرة ، وليست أخباره بخافيةٍ على الناس ، ولا تكاد تفتح كتابا فى تراجم الأدباء أو العلماء حتى تظهر على ترجمة لسيبويه .

والمعروف أنَّ له كتاباً واحداً ، هو الكتاب فى علوم العربية ، الذى كان يقال له « قرآن النحو » .

وقد تناول القدماء والمحدثون ، ومنهم الأستاذ على النَّجدى ترجمة سيبويه ودراسته ، ولم أجدهم ذكروا من آثاره غير هذا الكتاب .

ولكنّى عثَرت بأَخَرَةٍ على كتاب له آخر يسمى « كتاب القوافى » ولم أجد له ذكراً فى كتب المؤلَّفات كالفهرست لابن النديم و « كشف الظنون » لمُلّا كاتب جَلبى .

ووجدته فى حاشية الدمنهورى على متن الكافى لأحمد القِنائى يقول

عند الكلام على الردف [١] :

والرّدف واجبٌ اتفاقاً حيث يلتقى ساكنان آخرَ البيت ، كقوله :

أبلغ النُّعمان عنِّى مألكاً أنّه قد طال حبسى وانتظارِى [٢]

ليسهل الانتقال من أحد الساكنين إلى الآخر بالمد الذى هناك .
وعلى قول الأكثر حيثُ يستكمل البيت عددَ أجزاء دائرته وينقص من ضربه حرفٌ متحرك أو زنته ، أى حرف ساكن مع حركة ماقبله كما فى القطع .

ثم يقول : وأجاز سيبويه فى كتاب القوافى له استعمال مثلِ ذلك بغير ردف . قال : لقيام الوزن بالحرف الصحيح .
وأنشد :

ولقد رحلت العيسَ ثم زجَرتُها قِدماً وقلت عليكِ خَيْرَ مَعَدّ

ثم يسوق كلاما يُشرِك فيه مع سيبويه الجرمىَّ ، والفارسى ، والشَّلوبين .

وقد رجعت إلى كتب القوافى التى نُشرت حديثاً كمختصر القوافى لابنِ جنى [٣] المتوفى سنة ٣٩٢، والقوافى لأبى يعلى التنوخى [٤] المتوفى قريباً من سنة ٤٨٨ ، والوافى فى العروض والقوافى للتبريزى [٥] المتوفى سنة ٥٠٢ ، والعيون الغامزة للدمامينى [٦] المتوفى ٨٢٧ ،

---

(١) حاشية الدمنهورى على الكافى ص ٩٢ .

(٢) البيت لعدى بن زيد فى ديوانه ٩٣ .

(٣) نشره وحققه حسن شاذلى فرهود سنة ١٩٧٥ مطبعة الحضارة العربية .

(٤) نشره وحققه عونى عبد الرءوف سنة ١٩٧٥ مطبعة الحضارة العربية .

(٥) نشره وحققه عمر يحيى ، وفخر الدين قباوة بالمطبعة العربية بحلب سنة ١٩٧٠ . وأعاد نشره محققا ١٩٧٧ الحسَّانى حسن عبد الله بمكتبه الخانجى باسم « الكافى » .

(٦) نشره محققا الحسانى حسن عبد الله بمكتبة الخانجى سنة ١٩٧٣ .

بالإضافة إلى العقد الفريد ، و وفاة صاحبه ٣٢٨ ـــ فلم أجد ذكرا لهذا الكتاب .

لكنى وجدت أبا يعلى التَّنوخى فى كتاب القوافى يقول عند الكلام على الرِّدف (١) :

« وذكرَ سيبويه أنّ فتح ماقبل الواو والياء لايجوز ». ثم يقول معترضا على سيبويه : « وقد استعملت الشعراء ذلك . ومما ورد بالفتح أيضا قولُ الشاعر (٢) :

لعمركَ ما أخزى إذا ما نَسَبْتَنَى إذا لم تقلْ بُطْلًا علىَّ وَمينا(٣)
ولكنَّما يخزى امرؤ تكلِم استَه قنا قومه ، إذا الرماح هَوَينا

وقد ذكر ما ذهب إليه سيبويه أبو بكر الخزَّاز العرَوضى » . ا هـ . فسيبويه فيما نُقل عنه هنا متشدّد ، على حين نراه فى المسألة الأولى على كثير من اليسر .

على أن ماُنقل عنه فى المسألة الأولى نجد عكسه فى كتابه (٤) فهو فيه يوجب حرف الرِّدف فى كل قافية محذوفة ، أى حذف منها حرف متحرك ، وهو القطع الذى سبقت الإشارة إليه . إلا أن يكون قد رجع عن رأيه فى أحد الكتابين إلى الرأى الآخر .

---

(١) القوافى للتنوخى ص ٨٨ .
(٢) هو جابر بن رأْلان السِّنْبِسىّ ، كما فى الحماسة ٢٣٤ بشرح المرزوقى .
(٣) فى الأصل : « سببتنى » ، صوابه من الحماسة .
(٤) الكتاب ٤ : ٤٤١ .

أيـــوه :

محاولة تأصيل الألفاظ العاميّة ، أى ردِّها إلى أصولها العربية ، لها جذور قديمة . ولكن القدماء لم يرمُوا إلى إحياء تلك الكلمات المبتذلة أو الحثِّ على استعمالها .

من نماذج هذا ما أورده الأمير فى حاشيته على المغنى [١] فى الكلام على (إى) التى هى حرف جواب بمعنى نعم ، وأنَّها بهذا المعنى لابد أن تكون متلوّة بقَسَم ، إذ يقول العرب : « إِى وربِّى » ، ونحو ذلك .

ثم يقول : « وعوامُّ مصر يحذفون المقسم به ويقتصرون على الواو » ـــ أى يقولون : إى وَ ـــ وربما ألحقوها هاء السكت : إيوهْ . أو فتحوا الهمزة : أيوه » .

فهذا منهج من يحترم لغته كما تحترم كلُّ شعوبِ الأرض لغاتِها . وهذا هو مذهب مَن يدفع عن لغة القرآن أرجاسَ الغزو الشّعوبى ، ومن ينفى عنها أوضارَ الذَّوق السُّوقىّ .

★ ★ ★

---

(١) حاشية الأمير على المغنى ١ : ٧١ .

من كناشة النوادر

– ٣ –

سارة :

نسمِّى بناتِنا ، أو نناديهنَّ أحيانا باسم « سارّة » بتشديد الراء ، فهل نعدّ هذه التسمية خطأ ؟

الأمر ذو وجهين . فإنْ قصدْنا تسميةً حديثة لاعلاقة لها ؛ بالاسم التاريخى القديم الذى كان عَلَما على الزوجة الأُولى لأبينا إبراهيم عليه السلام ، والدة إسحاق ويعقوب ، عددنا ذلك صوابا ، إذ هى اشتقاق عربى أصيل من قولهم : سَرَّته تسرُّه فهى سارّة .

ولكن حينما نقرأ ذلك الاسم التاريخى فى مرجعٍ من المراجع أو نحاول ضبطه ، أو نسمِّى بناتنا بهذا الاسم قدوةً أوتيمُّنًا به فإنه يكون من الخطأ بمكانٍ أن نشدّد الراء ، بل ننطقها خفيفة كما هو ضبطُها المنصوص عليه .

وقد وقع فى بعض كتب التراث تحريفٌ فى كتابة هذا الاسم ، فى معجم لسان العرب فى مادتى (سقم ، وهجر) إذ ضُبِط ضبط قلمٍ بتشديد الراء ، والصواب تخفيفها كما ورد فى صحيح البخارى فى كتاب الأنبياء فى باب قول الله : « واتخذ الله إبراهيم خليلا » . وهو الحديث رقم ٤٥٣ من الألف المختارة . وهى سارَة بنت هارَان ملك حَرَّان ، كما فى شروح البخارى. وكان اسمها فى بادىء الأمر ساراى. جاء فى سفر

التكوين (١) : « وقال الله لإبراهيم : سارایُ امرأتك ، لاتدعو اسمَها ساراى ، بل اسمها سَارَة » . وفى حواشى سفر التكوين أن معنى هذا الاسم الجديد ـــ أعنى سارة ـــ هو الرَّئيسة .
وقد وجدت من الشواهد على ضبط اسمها ما سجَّله جرير (٢) فى قوله :

ويَجمعنا والغرَّ أولادَ سارَة   أبٌ لانُبالِي بعده مَن تعذَّرا (٣)
أبونا خليلُ الله والربُّ ربُّنا   رَضينا بما أعطَى الإِلَهُ وقَدّرا

ويعنى بأولاد سارَة أبناء ولدها إسحاق ، ويزعم بعض الأخباريين أنَّ الفرس من أبناء إسحاق .

وقال ياقوت عند إنشاد الشعر : إنّ جريراً كان يفتخر على اليمن بالفرس والروم ويقول : إنَّهم من ولد إسحاق . وأما اليمن القحطانيون فلايرجعون فى نسبهم إلى ابراهيم .

المدُّ والجزْر :

من المعروف أن المدّ والجزر ظاهرة جُغرافية طبيعية ، تنشأ من عدم تساوى جاذبية كلٍّ من القمر والشمس للأرض فى أجزائها المختلفة ، وأنَّ

---

(١) سفر التكوين الأصحاح ١٧ .
(٢) ديوان جرير ٢٤٣ والنقائض ٩٩٤ وابن سلام ٣٤٨ وتاريخ الطبرى ١ : ٣٧٩ ومعجم البلدان فى رسم (الروم) .
(٣) أى تأخر وجاء من بعده .

النصف المواجِهَ للقمر ينجذب ماؤه أكثرَ من النصف الآخر ، وذلك لأنَّ القمر أقربُ إلى الأرض من الشمس الشديدة البعد ، ويتأرجح المدُّ والجزر طبقا لتغيُّر مواقع الشمس والقمر من الأرض ، بالتباعد أو التلاقى أو الانحراف على مدار الشهر . وتلاقى القمرِ والشمس على مستوًى واحد من الأرض ـــ كما يحدُث فى أول الشهر ومنتصفه ـــ يحدِث المدُّ الأعظم .

ولكنْ فى نظرة بعض قدماء العرب أن هذا ناجمٌ من تأثير بعض الملائكة .. يذكر ابن فارس (ـــ ٣٩٥) فى مادة (قمس) هذا النص :

« وقالوا فى ذكر المد والجزر : إنَّ مَلَكا قد وكِّل بقاموس البحر ، كلَّما وضع رجلَه فاض ، فإذا رفعها غاض » .

فإذا ارتقينا إلى المؤرخ الجغرافى زكريا بن محمد القزوينى صاحب عجائب المخلوقات (٦٠٥ ـــ ٦٨٢) فاننا نجد محاولة علمية مقاربة إذ يقول (١) :

« وأما مدُّ بعض البحار فى وقت طلوع القمر فزعموا أنَّ فى قعر البحر صخوراً صلدة ، وأحجاراً صُلبة ، وإذا أشرق القمر على سطح ذلك البحر وصلت مَطارح أشعتِهِ إلى تلك الصخور والأحجار التى فى قرارها ، ثم انعكست من هناك متراخية ، فسخُنت تلك المياه وحميت ولَطُفت ، فطلبت مكاناً أوسع وتموَّجت إلى ساحلها ، ودفع بعضُها بعضا ، وفاضت على شطوطها وتراجعت المياه التى كانت تنصبُّ إليها إلى خلف ، فلاتزال كذلك مادام القمر مرتفعاً إلى وسط سمائه ، فإذا

(١) عجائب المخلوقات ص ١٠١ .

أخذ ينحطُّ سكن غليان تلك المياه ، وبَرَدت تلك الأجزاء وغلُظت ، ورجعت إلى قرارها ، وجرت الأنهار ، على عادتها .

فقد أرجع القزوينى التأثيرَ إلى تسخينِ القمر لصخور البحار . وفاته أنَّ تسخين الشمس فى رائعة النهار أشدُّ وأقوى . فهذا غلط ظاهر . وليس الأمر مبنياً على التسخين والتبريد ، وإنما هو نظام الجاذبية الفلكية .

الأنهار المقلوبة :

جاء فى تنبيه المسعودى (١) عند الكلام على نهر آلُس :

وتفسير آلس بالعربية : نهر الملح . وهو نهر مقلوب يجرى مماَّ يلى الجنوب مستقبلًا للشَّمال ، كنيل مصر ومِهرانِ السِّند ، ونهر أنطاكية المعروف بالأُرُنْد . وما عدا ذلك من الأنهار الكبار فمصبُّها كلِّها من الشمال إلى ناحية الجنوب ؛ لارتفاع الشَّمال على الجنوب وكثرة مياهه .

وهذا الحكم الخاص بالدنيا القديمة قد يصدُق تمام الصدق على الدنيا الجديدة وأنهارِها العظام ، فالمسِّيسبِّى فى أمريكا الشمالية ، وباراجواى وأورجواى فى أمريكا الجنوبية ، يصبُّان فى الجنوب ، على حينَ يصبُّ نهر الأمازون فى الشمال . ويعدُّ بذلك فى وجهة نظره نهراً مقلوباً .

وأما تعليله بارتفاع الشمال على الجنوب فهو موضع نظرٍ بلا ريب .

---

(١) التنبيه والإشراف ١٥١ .

الفحم الحجرى أو الصَّخْرى :

إنّما عرفناه حديثا ، عند اختلاطنا بالإنجليز والأوربيِّين ، ولعل أعظم مناجمه فى بلدة نيوكاسل بانجلترا . وقد عرفته العرب قديما .

جاء فى معجم البلدان عند ذكر إقليم أسبرة (١) بأقصى بلاد الشَّاش مما وراء النهر . مانصه : وهى بلاد يخرج منها النفط ، والفيروزج ، والحديد ، والصُّفر والذَّهب والآنُك ، أى الرَّصاص . وفيها جبلٌ أسود حجارته تحترق كما يحترق الفحم ، يباع منه حِمْلٌ بدرهم وحِملانِ ، فإذا احترق اشتدَّ بياض رَماده ، فيُستعمَل فى تبييض الثياب . ولايعرف فى بُلدان الأرض مثلُ هذا . قاله الإصطخرى . ومثل هذا النص فى عجائب المخلوقات (٢) .

التبّـان :

التُّبَّان ، كرمّان : سِروال صغير مقدار شِبر ، يستر العورة المغلظة ، يكون للملاحين . وهو مايعادل مايسمَّى فى اللغة الدخيلة « المايُّوه ».ولفظنا العربى أجدر بالحياة منه وأولى أن تُحمَل العامّة عليه .

جاء فى النجوم الزاهرة (٣) أنَّ السلطان المظفَّر بن الناصر قَلاوون

---

(١) هى المعروفة الآن باسم « سيبِريا » .
(٢) عجائب المخلوقات ١٢٤ .
(٣) ج ١٠ ص ١٦٩ .

كان إذا لعب مع الأوباش يتعرَّى ويلبس تُبّان جلد ، ويُصارع معهم ، ويلعب بالرُّمح والكرة .

وكلمة « الأوباش » قال الأصمعى فيها : يقال بها أوباشٌ من الناس ، وأوشابٌ من الناس ، وهم الضُّروب المتفرِّقون .

المـراكبـى :

استعمال هذا اللفظ بمعنى الملَّاح فقط تأباه اللُّغة الأصيلة ، لأنَّ له مدلولًا حضاريا قديما ، ولأنَّ المركَب لفظٌ يشمل كلَّ مايُركب : من فرس أو بغلٍ ، أو فيل ، أو سفينة .

ورد فى الأغانى فى ترجمة عَرِيب المغنّية [١] . كانت عريبُ لعبد الله بن إسماعيل صاحب مراكب الرشيد ، وهو الذى ربّاها وأدّبها وعلّمها الغناء .

ثم يقول : حدثنى من أثق به عن أحمد بن عبد الله بن إسماعيل المراكبى أنَّ أم عريب تسمَّى فاطمة .

وكان هذا المراكبى متعهِّدا كذلك لمراكب « المهدىّ » والدِهارون الرشيدِ من قبل . جاء فى تاريخ الطبرى [٢] : وذكر عبد الله بن إسماعيل صاحب المراكب قال : لماّ صِرْنا إلى ماسَبَذانَ دَنوت إلى عنانه ــ يعنى عنان فرس المهدى ــ فأمسكت به وما به عِلّة ، فوالله ما أصبحَ إلّا ميتا .

---

(١) الأغانــى ١٨ : ١٧٧ .
(٢) الطبرى ٨ : ١٧٠ .

البلهارسيا :

المرض الذى كشفه الطبيب الألمانى « بِلهارس » سنة ١٨٥١م.

قد عرفه العربُ قديما وعبَروا عنه بالحيض . جاء فى الخزانة [١] : « وأبو مكعت هو الذى كان يحيض فى الجاهلية » .

وهل يحيض الرجال ؟!

لا ريب أن هذه عبارة عن بول الدم ، وهو الظاهرة التى تميز بها مرض البلهارسيا . وقد عرف العرب أيضا علّة هذا المرض الذى تنتقل عدواه بالماء . وجدت فى معجم ما استعجم للبكرى [٢] هذا النص ، الذى يدلُّ على علاقة هذا المرض بالماء ، وذلك عند الكلام على غديرٍ يقال له رواوة : « ثم يُفْضِى إلى غدير الطُّفيتين ، وهو من أعذب ماءٍ يُشرَب ، إلّا أنّه يُبيل الدم » .

ومن البديهى أنْ يقال علميًّا : إنَّ هذا الماء كان موبوءاً بجرثومةِ هذا المرض .

المـــرأة :

كان رسول الله ﷺ يُوصِى بالنساء خيرا ، وليس فينا من لايحفظ قوله البارع : « ياأَنْجَشَةَ رِفقاً بالقوارير »

فمن أروع ماجاء فى الحثّ على حسن صحبة المرأة مارواه المقدام

---

(١) خزانة الأدب ١٠ : ٢٥٠ .

(٢) معجم ما استعجم للبكرى ١٣٢٨ .

ابن مَعد يكرِب « أن النبى ﷺ قال : « إنَّ الرجل من أهل الكتاب يتزوّج المرأة وما يَعْلَق على يدها الخير ، ومايرغَبُ واحدٌ عن صاحبه حتّى يموتا هَرَما » .

قال الحربى فى تفسير « مايعلق على يدها الخَيْر » يقول : من صِغَرها وقلَّة رِفقها . والمراد حثٌّ أصحابه على الوصيَّة بالنساء ، والصبر عليهنّ ، فقد كان أهل الكتاب يفعلون ذلك .

وفى هذا الحديث إباحةٌ للقدوة الصالحة مهما يكن مصدرها .

سجن الطَّرَّارات :

الطَّرَّار : فعّالٌ من الطَّرّ ، وهو الاختلاس . وقد كان للنساء الطرارات سجن خاص . جاء فى إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى (١) فى ترجمة أبى على بن أبى الخير الطبيب ، أنّه كُبِسَ وعنده امرأةٌ من الخواطىء المسلمات ، فأقرَّ على جماعةٍ من الخواطىء المسلمات أنّهنّ كنَّ يأتينه لأجل دنياه ، فخرجت الأوامرُ بالقبض على النساء اللواتى ذكَرهُنّ ، فقبِض عليهنّ وأودِعْنَ سجن الطَّرارات . ويعنى هذا أنّه قد كان لهن سجن خاص .

التبكير بالتعليم

كان أسلافنا يُولون التعليم اهتماماً كبيرا ، ويَحملون أبناءهم عليه وهم فى سنٍّ مبكرة جدا . فمن ذلك ماروى أبو الفرج فى الأغانى (٢)

---

(١) إخبار للعلماء ص ٢٦٨ .

(٢) الأغانى ١٦ : ٣٧ .

عن أشجعَ السُّلَمىّ الشاعر قال : دخلت على محمَّدٍ الأمين حين أُجلِسَ مجلس الأدب للتعليم ، وهو ابن أربع سنين ، وكان يجلس فيه ساعةً ثم يقوم ، فأنشدتُه :

ملكٌ أبوه وأمُّه مِن نَبْعةٍ منها سراجُ الأمّة الوهاجُ
شربَتْ بمكّة من رُبَى بَطْحائها ماءَ النبوة ليس فيه مِزاجُ

يعنى النَّبعة . فأمرت له زُبيدة بمائة ألف درهم .

وجاء فى اختصار علوم الحديث لابن كثير (١) : « وينبغى المبادرة إلى إسماع الوِلدان الحديثَ النبوىّ . والعادة المطَّردة فى أهل هذه الأعصار وماقبلها بمددٍ متطاولة ، أنَّ الصغير يُكتب له حضور إلى تمام خمسِ سنينَ من عمره ، ثم بعد ذلك يسمَّى سماعا » .

وفى الكتاب أيضا عن أبى عمرو بن الصَّلاح : « وبَلَغنا عن إبراهيم بن سعيد الجوهرى أنّه قال : رأيت صبيًّا ابنَ أربع سنين قد حُمِل إلى المأمون ، قد قرأ القرآن ونَظَر فى الرَّأى ، غير أنه إذا جاع بكى » ! .

الإعفـاء من الجندية :

تختلف نُظمه وقوانينه باختلاف البلادِ وأنظمتها فى الوقت الحاضر .

ومن غرائب ماسجَّلتْهُ كتب التراث ماأورده ياقوت فى معجم البلدان عند ذكر صِقلية وقصبتها مدينة بَلَرْم : عن ابن حَوقل قال : والغالب على أهل المدينة المعلِّمون ، فكان فى بَلَرم ثلثُمائةِ معلّم ، فسألت عن ذلك فقالوا : إنَّ المعلم لايكلَّف الخروجَ إلى الجهاد عند صَدْمة العدوّ » .

والتاريخ هو التاريخ .

(١) اختصار علوم الحديث ص ١٢٠ .

قَسوة العشَّارين :

جاء فى كتاب الموفقيات للزُّبير بن بكّار [١] والإصابة [٢] عن هشام بن الكلبى عن أبيه أنَّ عمر خرج تاجراً فى الجاهلية مع نفر من قريش ، فلما وصلوا إلى فِلسطين قيل لهم : إنَّ زنباع بن رَوْح بن سلامة الجُذامىّ ، يَعشِر من يمرُّ به ، للحارث بن أبى شَمِر . قال : فعمَدْنا إلى ما معنا من الذهب فألقمناه ناقةً لنا حتّى إذا مضينا نحرناها وسَلِمَ لنا ذهَبُنا ، فلما مررنا على زنباع قال : فتِّشوهم . ففتَّشونا فلم يجدوا معنا إلّا شيئا يسيرا ، فقال : اعرِضوا علىَّ إبلَهم . فمرَّت به الناقة بعينها فقال : انحَرُوها ، فقلت : لأىِّ شىء ؟ قال : إن كان فى بطنها ذهب ، وإلّا فلك ناقةٌ غيرها ، وكُلْها . قال : فشقُّوا بطنها فسال الذهب ، فأغلظ علينا فى العَشْر ونال من عمر ، فقال عمر فى ذلك :

متى ألق زنباعَ بن رَوْح ببلدةٍ ... لى النِّصفُ منه يقرع السِّنَّ من نَدَمْ
ويعلمْ بأنَّ الحىَّ حىَّ ابنِ غالب ... مَطاعين فى الهيجا مضاريبُ فى القِيَمْ [٣]

فهذا عمر ، وهو من هو ، يَنعىَ على هؤلاء العشَّارين جَوْرهم فى ذلك الزمان السحيق ، ويستعلن غضبهَ وتَوعُّده لهم .

الحيل الحربيـة :

من الحيل الحربية المعاصرة كُسوة الدبَّابات والسَّيَّارات والمدافع ، بله الجنودَ والمُعدَّات بأغصان الأشجار للتخفِّى من عيون الأعداء .

---

(١) الموفقيـات ٦٢٥ .

(٢) الإصـابـة ٣ : ١٢ .

(٣) القِيَم ، هنا : جمع قامَة .

ولهذا جِذْرٌ فى القديم يتمثَّل فيما رواه صاحب خزانة الأدب (١) فى خبر زرقاء اليمامة : أنَّ حسّان بن تُبّع ساق إليها جيشاً من قبيلة طَسْم ، فلماَّ كانوا على مسِيرة ثلاثِ ليال منها صَعِدت الحصنَ الذى يقال له « حصن الكلب » ، فنظرَتْ إلى ذلك الجيش وقد استتر كلُّ رجلٍ بشجرة تَلبيساً عليها ، فقالت :

أُقسِمُ باللّٰه لقد دبَّ الشجرْ   أو حميرٌ قد أخذَتْ شيئاً تجرّ

فهذا سبقٌ عربىٌّ قديم فى الحِيَل الحربية عند أسلافنا العرب .

الدَّبَّابات :

التسمية قديمةٌ جداً ، والمضمون مختلف . ولعلَّ أقدم نَصٍّ وردت فيه ، هو ما كان فى حصار الطائف ، إذْ يقول المؤرِّخون وكُتّاب السِّيَر : « دخل نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ تحتَ دَبَّابة ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف لِيَخْرِقُوه » .

والدبابة : آلة تُتَّخذ من جلودٍ وخشَب يدخل فيها الرِّجال ويقرِّبونها من الحصن المحاصَر لينقُبوه ، وتقيهم مايُرمَوْن به من فوقهم .

والتسمية الحديثة موفّقة تعبِّر عن المعنى المعاصر تعبيرا دقيقا.

وما أجدرنا أن نتريَّث فى التعبير عن مستحدثاتنا ؛ فإنَّ من المقطوع به أن نوفَّق أو نقارِب ، إذا نقَّبنا فى قديم تراثنا .

---

(١) خزانة الأدب للبغدادى ٢ : ٢٩٩ .

البريد الصوتى :

كان ذلك فى غزوة الحديبية سنة ست من الهجرة .

جاء فى إمتاع الإسماع (١) : « وبلغ أهلَ مكة خروجُ رسول الله ﷺ ، فراعهم ذلك وتشاوَرُوا ، ثمَّ قدَّموا عِكرمةَ بنَ أبى جهل ، أو خالد بنَ الوليد ، على مائتى فارس الى كُراع الغَميم (بين مكة والمدينة) واستنفروا مَنْ أطاعهم من حلفاء قريش من بني كنانة (كانوا قد تحالفوا تحت جبل يقال له حُبْشيّ) وأجلبت ثقيفٌ معهم (أى انضمَّت) ووضعوا العيونَ على الجبال ، وهم عَشْرة رجال يُوحِى بعضهم إلى بعض بالصوت : فعَلَ محمدٌ كذا وكذا . فيردِّد مَن بَعْدَه قولَه ، وهكذا حتَّى ينتهى ذلك إلى قريش » .

وهذا سبقٌ حضاريٌّ قديم ، له نظيرٌ معاصٌر فى الحروب عندنا بالتخاطب بالإشارة بالأعلام ، التى تطوَّرت إلى النظام اللاسلكى والراداريّ .

مقاومة الجـراد :

ظاهرة حضارية أصبحت ذات شأن كبير فى عصرنا ، وهى الآن داخلةٌ فى نطاق التعاون والتنظيم الدولى . والجراد آفة خطيرة تقضى على الزروع والثمار ، إن لم تقاوَم مقاومة جادّة أهلكت الحرث والزَّرع والغلاّت .

جاء فى تاريخ ابن الوردى فى حوادث سنة ٧٤٨ (٢) : وفى المحرم

---

(١) إمتاع الأسماع للمقريزى ٢٧٨ .

(٢) مختصر أخبار البشر ٢ : ٣٤٥ .

ظهر بين مَنْبِج والباب ، جرادٌ عظيم ، من بَزْر السنة الماضية ، فخرج عسكرٌ من حلب ، وخَلْقٌ من فلّاحى النواحى الحَلَبية ، نحو أربعة آلاف نفس ، لقتله ودَفْنه ، وقامت عندهم أسواقٌ ، وصُرفت عليهم من الرعيَّة أموال .

وهذا النصُّ يظهرنا على ماكان من التَّعاوُن المتكامل ، يشترك فيه الجيش مع الفلَّاحين ، وتُساق فيه التبرعات الشَّعبية ، وتُنظَّم له حملة شاملة تُقام فيها الأسواق المنظَّمة ، ولاينتهى فيه الأمرُ إلى إبادة الجراد ، بل يُشْفَع ذلك بدفنه ، مبالغةً فى الإبادة ، واحتراساً من فقس البيض . وفى ذلك يقول ابن الوَردى :

قصدَ الشام جرادٌ سَنّ للغَلّات سِنّا
فتصالَحْنا عليه وحَفرنا ودفَنّا

وضع المجمرة تحت الثياب :

شهِدنا جَدَّاتنا وأمّهاتِنا فيما مضى ، وهنّ يحرصن على البَخُور فى أمور شتى ، أعلاها شأناً هو دفع العين وشرّ الحاسد فيما يزعمن . ومنها : وضع المِجمرة تحتَ ثياب الصِّبيان وحثُّهم على معاودة الخَطْو فوقها إنْ سبعاً وإنْ عشراً ، للتطيُّب أحيانا ، ولدفع العين واتِّقاء شر الحسود حينا آخر .

ومن طريف مارُوى فى كتاب « الفخرى فى الآداب السلطانية (١) » لابن الطِّقطقى فى خبر مصرع أحمد بن يوسف كاتب المأمون ، قال :

وكان سبب موته أنّه دخل يوماً إلى المأمون والمأمون يتبخّر ، فأخرج المأمون المجمرة من تحته ، وقال : اجعلوها تحت أحمد ، تكرمةً له .

---

(١) الفخرى : ٢٠٧ .

فنقل أعداؤه إلى المأمون أنّه قال : ماهذا البُخل بالبخور ! هلّا أمَرلى ببخور مستأنَف ؟ فاغتاظ المأمون لذلك وقال : ينسُبنى إلى البخل ، وقد علم أنَّ نفقتى فى كل يوم ستةُ آلاف دينار ؟ وإنّما أردت إكرامه بما كان تحت ثيابى ... ثم دخل عليه أحمد بن يوسف وهو يتبخَّر مرة أخرى فقال المأمون : اجعلوا تحته فى مجمرة قِطَعَ عنبر ، وضَعُوا عليه شيئا يمنع البخار أنْ يخرج ، ففعلوا ذلك به فصبَر عليه حتَّى غلبه الأمر فصاح : الموت الموت ! فكشفوا عنه وقد غُشِىَ عليه ، فانصرف الى منزله فمكث فيه شهوراً عليلا من ضِيق النَّفَس ، حتى مات بهذه العِلَّة .

الوزيـر والكاتـب :

نلحظ فى ثنايا كتب التاريخ اضطراباً فى التفرقة بين هذين اللَّقبين ، والملحوظ أيضاً أنّه لم يكن فى صدر الإسلام ولا فى عهد الدولة الأموية من يحمل لقب الوزير ، وكانوا كلُّهم كتابا ، حتى إذا كانت أيام الدولة العباسية وجَدْنا أوَّل وزير فيها هو أبو سلمة حَفْص بن سليمان الخَلَّال الذى كان يقال له : « وزيرُ آل محمد » كما كان يقال لأبـى مسلم الخراسانى : « أمين آل محمد » . وفيه يقول سليمان بن المهاجر البَجَلى عند مصرعه :

إنَّ المساءة قد تسرُّ وربّما ... كان السرور بما كرهتَ جديرا
إنَّ الوزير وزيرَ آلِ محمد ... أودَى ، فمن يَشْناكَ كان وزيرا

ويَسرِى نظام الوزراء ، ومعه نظام الكُتّاب إلى عهد المأمون ، فقد كان له وزراء وكتّاب ، وكان آخر وزرائه هو محمد بن يزداد بن سويد .

يقول المسعودى فى التنبيه والإشراف (١) : « ولم يكن يسمَّى بين يدَيهِ أحدٌ من كتّابه وزيرا ولا يُكاتَب بذلك ، فلأجل ذلك ترك كثيرٌ من الناس أن يَعُدَّ من ذكرنا فى الوزراء . ورأيتُ من صنَّف فى أخبار الوزراء والكتاب كأبى عبد الله محمد بن داود بن الجراح ، ومحمد بن يحيى الصولى ، ومحمد بن عَبْدوس الجَهْشَيارى ، والمعروف بابن الماشطة الكاتب (٢) ، منهم من عدَّهم فى الوزراء ، ومنهم من لم يعدّهم، للسبب الذى بيّنّا (٣) .

الجاحظ وزواجه وولده :

سألنى ويسألنى كثيرون عن أسرة الجاحظ وهل كانت له زوجة أو ولد ؟

وقد عثرت بأَخَرة على نص فى رسائل الجاحظ ١ : ٢٥٤ فى أثناء رسالة الجد والهزل التى وجهها إلى محمد بن عبد الملك الزيات .

---

(١) التنبيه والإشراف ٣٠٤ .

(٢) فى كشف الظنون ١ : ٦٣ أن اسمه « أبو الحسين على بن محمد بن المشاطة » ولم يذكره المسعودى فى التنبيه والإشراف إلا باسم « ابن الماشطة » ص ٢٩٨ ، ٣٠٥ أما أبو الفرج فى الأغانى ٢ : ١٤٢ فقد سماه « عمرو بن عقبة » قال : « وكان يعرف بابن الماشطة » . وأورد له خبراً مع إبراهيم بن أبى الهيثم .

(٣) ومما يجدر ذكره أن الخليفة المقتدر الذى ولى الخلافة سنة ٢٩٥ واستمرت خلافته خمسا وعشرين سنة إلا خمسة عشر يوما قد استوزر عددا كبيرا من الوزراء بلغ ١٢ « اثنى عشر » وزيرا فيهم من وَزَر له المرتين والثلاث . وهو أعلى عدد من الوزراء لخليفة واحد . انظر التنبيه والإشراف ٣٢٨ .

ويبدو أن الجاحظ كان قد تزوج فى سنٍّ عالية بعد أن كان قاعدا عن الزواج ، فنعى عليه ابن الزيات ماصنع من ذلك ، فقال مجيبا فى الرد عليه :

وماكان عليك مع كبر سنى وضعف ركنى أن يكون لى — يعنى الولدَ — ريحانةً أشمّها ، وثمرةً أضمّها ، وأن أجد إلى الأمانى به سببا ، وإلى التلهى به سلّما .

ويقول أيضا :

دع عنك كل شئ ، ماكان عليك أن يكون لى ولد يحيى ذكرى ، ويحوى ميراثى ، ولا أخرج من الدنيا بحسرتى ، ولا يأكله مراءٍ يرصدنى ، وابن عم يحسدنى ، ولايرتع فيه المعدَّلون فى زمان السَّوء .

وكفى بهذا النص شاهدا !

تهجير الحيـــوان :

كما يحدث التهجير فى النبات والفواكه ، وكما حدث عندنا فى مصر من إدخال أنواع الفواكه الحَمْضية منذ عهدٍ ليس بالبعيد ، حدث مثل هذا التهجير للحيوان فى عصورٍ سحيقة .

إذْ يذكر المسعودى تاريخ دخول الجاموس إلى بلاد الشام ، ويقول فى التنبيه والإشراف (١) : « وقيل إنَّ بدء الجواميس بالثغر الشامى وسواحل الشام من جواميسَ كانت لآل المهلَّبِ ببلاد البَصرة والبطائح والطُّفوف ، فلَّما قتِل يزيد بن المهلَّب نقَلَ يزيدُ بن عبد الملك بن مروان

---

(١) التنبيه والإشراف للمسعودى ٣٠٧ .

كثيراً منها إلى هذه النواحى . وكانت خلافة يزيد بن عبد الملك ما بين سنتى ١٠١ ـــ ١٠٥ .

وذكر المسعودى قولًا آخر فى خلافة المعتصم ٢١٨ ـــ ٢٢٧ أنه بعد تغلُّبه على الزُّطّ ، أجلاهم وأنزلهم بلاد خانِقِين وجَلولاء ، من طريق خراسان ، وبلاد عَين زَرْبة من الثَّغر الشامى ، ومنْ يومِئذ صارت الجواميس بالشام ، ولم تكن تعرف هنالك .

عض الإنسان للحيوان :

أنْ يَعَضَّ حيوانٌ إنسانا ذلك أمرٌ معروف ليس فيه منْ وجوه الغرابة وجه ، ولكنْ أنْ يَعضَّ انسانٌ عاقل حيواناً أمر تلُفُّهُ الغرابة ، وتحتويه الندرة . يقول الآمدى فى المؤتلف [1] فى ترجمة مُلاعب الأسنة أوس بن مالك الجرمى الشاعر الفارس : « وكان أوس شاعرا ، عضّت اللبُؤةُ منكبه ، فعضَّ هو بأنفها وقال :

أعَضُّ بأنفها وتعَضُّ أنفى ... كِلانا باسلٌ بطلٌ شجاعُ
فلولا أنْ تداركَنى زُهير ... بنصل السَّيف أفْنتْنى السِّباعُ

لغـويات :

السِّمنة ، بكسر السين لاتعرفها اللغة ، وإنما تعرف السِّمَن والسَّمانة . وفى حديث أبى هريرة : « خير أُمَّتى القرن الذى أنا فيهِم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يظهر فيهم قومٌ يُحبوُّن السَّمانة ، يَشْهدَون قبل أن يُستشهَدوا » .

---

(١) المؤتلف والمختلف للآمدى ١٨٨ .

وتعرف اللغة السُّمنة بضم السين لكن بمعنى الدواء الذى يتخذ للسِّمَن ، تُسَمَّنُ به المرأةُ أو غيرها .

المقفَّـص :

من أنواع النقوش فى الثياب التقفيص ، وهو كما قال الخفاجى فى شفاء الغليل (١) نقشٌ فى الثياب بالطُّول والعرض . يعنى أنَّ خطوطه يقطع بعضُها بعضا كما تتقاطع قضبان القفص بالطُّول والعرض . وفى ذلك يقول القائل :

لم أنسَ قول الوُرْقِ وهى حبيسةٌ   والعَيشُ منها قد أقام منغَّصا
قد كنتُ ألبَسُ من غصُونىَ أخضراً   فلبست منها بعد ذاك مقفَّصا

يصف الحمام وقد كان طليقاً بين أفنان الشجر ، ثم عاد به الأمر إلى الأسر بين قُضبان الأقفاص . وما أجدر هذا اللفظ « المقفَّص » الدقيقَ الدَّلالة ، أن يُستعمل فى مقابل الكلمة الافرنجية « كاروه » و « كاروهات » ولهذا الاشتقاق نظائر فى العربية ، كقولهم : « المسهَّم » : الذى فيه نقوش كالسهام ، و « المرجَّل » : الذى فيه صُوَر المراجل جمع مِرجل ، و « المُدَنَّر » : الذى فيه صُوَر الدنانير ، و « المضلَّع » : الموشَّى بمثل الضلوع ، و « المبرَّج » الذى فيه صور البُروج ، و « المصلَّب » : الذى فيه كالصَّليب ، و « المفَوّف » الذى فيه بياضٌ أوْ خطوط بيض ، من الفُوف ، بالضم ، وهو البياض يكون فى أظفار الأحداث .

---

(١) شفاء الغليل ص ١٩٥ .

تجوهرت الأمــور :

تجوهرت الأمور : وضَحَت وتكشفت ، ولم أجد هذه الكلمة فى مُعجم ، وكم ذا من الألفاظ الفصيحة العربية التى لم ترصدها المعاجم .

وجدت فى المؤتلف والمختلف [١] فى ترجمه أعشى عكل ، يقول هذا الأعشى فى هجاء بلالٍ ونوح ابنَىْ جرير الشاعر :

سألتُ الناسَ أىُّ الناسِ شرٌّ وأخبَثُ إذْ تجوهرت الأمور
وألأمُ أوّلًا وأدقُّ فِعْلاً فقالوا : أسرةٌ فيهم جرير
إذا سُئل الورى عن كلِّ خزيٍ أشار إلى بنى الخَطَفى مشيرُ

المتنيِّح :

نقرؤها كثيرا فى الصُّحف فى مَقام النَّعى لكبار رجال الدين المسيحى ، فنظنُّها حديثة ، أو استعمالاً معاصراً .

والكلمة قديمة جداً ترجع إلى ماقبل سنة ٤٥٥ ، وهى سنة وفاة ابن بُطْلان ، وهو أبو الحسن المختار بن الحسن بن عَبْدون ، وكان من نصارى الكَرخ . قال ابن أبى أُصَيبعة [٢] عند كلامه على كتابه « دعوة الأطباء » :

« ونقلت من خط ابن بُطْلان ، وهو يقول فى آخرها [٣] : فرغت من نسخها أنا مصنفها يُوانيس الطَّبيب ، المعروف بالمختار بن الحسن بن

---

(١) المؤتلف والمختلف للآمدى ١٩ .
(٢) طبقات الأطباء ص ٣٢٨ .
(٣) يعنى دعوة الأطباء .

عبدون بدَير الملك المتنيِّح قسطنطين بظاهر القسطنطينية فى آخر أيلول من سنة تسع وخمسين وألف » . هذا قولُه ، ويكون ذلك بالتاريخ الإسلامى : من سنة خمسين وأربعمائة .

والقول فى تأصيل هذه الكلمة أمر يحتاج إلى بحث طويل (١) .

الحقير النافع :

ليس مادّةً من الموادّ ولا مالًا من الأموال ، أو شيئا مهملا لايؤبَه له ، وإنما هو لقبٌ لطبيبٍ لايعرف التاريخ له اسماً . كان من أهل مصرَ يهوديَّ النحلة ، فى زمن الحاكم بأمر الله ، وكان جَرّاحا حسنَ المعالجة ، يرتزق بصناعة مداواة الجراح فقط ، وكان فى غاية الخمول .

يقول ابن أبى أُصيَبِعة (١) : واتَّفق أنْ عرض لرِجْل الحاكم عَقْرٌ أزمَنَ ولم يبرأ . وكان ابن مُقشِّر طبيبُ الحاكم والحظىُّ عنده ، وغيرُه من أطبّاء الخاصّ المشاركين له ، يتولَّون علاجه ، فلا يؤثِّر ذلك إلّا شرًّا فى العَقر ، فأُحضِر له هذا اليهودىُّ المذكور ، فلّما رآه طَرَح عليه دواءً يابسا فنشَّفه ، وشفاه فى ثلاثة أيام . فأَطلَقَ له أَلفَ دينار ، وخلع عليه ، ولقَّبه بالحقير النافع ، وجعله من أطِبَّاء الخاصّ .

---

(١) نجد فى المعاجم العربية : « نيَّح الله عَظْمك ، يدعو له بذلك » ، أى من ناح العظم يَنيح نيحا : صلُب واشتدّ . وفى الحديث : « لانيَّح الله عظامه » أى لاصلَّبها ولاشدَّ منها . انظر اللسان .

(٢) طبقات الأطباء ٥٤٩ .

الطُّرطـور :

كلمة من صميم العربية ، وأخذها الفرس والترك لفظاً ومَلْبَسا من العربيَّة ، وكم لبس الفُرس والترك من الطَّراطير ، ولاسيَّما بعضُ أصحاب الطرق الصُّوفية من المَوْلويَّة والبكتاشية ولم ترد هذه الكلمةُ فى كثير من المعاجم .

جاء فى اللسان : « والطُّرطور : الوغد الضَّعيف من الرجال ، والجمع الطَّراطير . . . وأنشد :

قد عَلِمت يَشكُر مَن غُلامُها إذا الطَّراطير اقشعَرَّ هامها

ورجل طُرطورٌ ، أى دقيق طويل » . ثم يقول : « والطُّرطور : قَلنسوة للأعراب طويلةُ الرَّأس » .

وجاء فى القاموس : « والطرطور : الدقيق الطويل ، والقَلَنسوة تكون كذلك ، والوَغْد الضعيف » .

أما استينجاس فى المعجم الفارسى الإنجليزى [(١)] فيرمز له بالحرف (A) الدال على اقتراضه من العربية ، وفسّره بعَين ماجاء فى اللسان ، وزاد عليه أنه يُطلق أيضا على الضعيف الدقيق من مِعزَى الجبالِ وتُيوسها » .

وقد جرت هذه الكلمة فى لغتنا المعاصِرة ، لكن بفتح الطاء الأولى ، بمعنى الرجل الذى ليس له حَلٌّ ولا عقد ، والذى لايُعبَأ به ولا بمكانه بينَ القوم . وهو مجازٌ صادق .

---

(١) المعجم الفارسى الإنجليزى ص ٨١٢ .

كلمات موءودة :

لعلَّ قولهم : اللغة كائن حىٌّ من أصدق القضايا المسلَّم بها . ففى جميع اللغات كلماتٌ تحيا ، وكلمات تموت ، والبقاء للأصلح . ومن الكلمات التى وئدت فى العصور الحديثة كلمة « الجراثيم » إذ تغيَّر مدلولها الواسع وانحرف إلى مجرى هو غاية فى الضيق ، انحرافا من الجمال إلى نهاية القبح والشناعة .

فالجرثومة فى فجرها اللغوى تعبير جميل عن أصل كل شئ ومجتمعه ، والجرثومة : ماإجتمع من التراب فى أصول الشجر ... وفى حديث ابن الزبير لمَّا أراد أن يهدم الكعبة ويبنيَها : « كانت فى المسجد جراثيم » يراد بذلك أنه كان فيه أماكن مرتفعة عن الأرض مجتمعة من تراب أو طين ، أى إنَّ أرض المسجد لم تكن مستوية . فإذا حاولنا أن نفهم هذا النص بالمفهوم العصرى أخطأنا المعنى المراد ، وفهمنا أن الأرض كانت موبوءة بجراثيم أمراض ، إذْ أصبح مفهوم هذه الكلمة فى عصرنا لايمكن أن يتعدَّى هذا المعنى الطِّبِّى الذى يعم البروتوزوّا ، والفَيروسات ، والفُطر ، والبِكتريا كما يقولون .

وكذلك حين نصغى إلى قول جرير فى مدح عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك بن مروان :

يآل مروانَ إنَّ الله فضلكم   فضلًا قديما وفى المسعاة تقديمُ
قوم أبوهم أبو العاصى وأمهم   جرثومـةٌ لاتساويها الجراثيم

ولايمكن أن تفسر هذه الجراثيم التى تعنى الأصل السامىَ والعرق الكريم، بالمفهوم اللغوى المعاصر .

وفى الشعراء الأمويين من كان يدعى « جرثومة » عثرت على اسمه فى كتاب المصون للعسكرى [١] ، وقد كان هذا الشاعر موضع إعجاب من الخليفة عبد الملك بن مروان .

ومن ذلك أيضا كلمة « التبجُّح » فقد أصبح مفهومها العصرى منحصراً فى الدلالة على الجُرأة المستَهجَنة ، وسوء الأدب وسلاطة اللسان . ولكن مدلولها الأصيل هو الفرح ، والشعور براحة النفس ، والفخر بما صار إليه المرء من منزلة ، كل ذلك فى نطاق الأدب والرضا ، ومنه حديث أمِّ زَرْع : « وبجّحنى فبجَحَتْ إلىّ نفسى [٢] » ، أى فرَّحنى ففرحت وعَظُمتْ نفسى عندى .

فى ظلال النحـو :

قالوا : من موانع الصرف فى الصفة أن تكون على وزن أفعل بشرط ألا يقبل مؤنثه التاء ، وذلك نحو أحمر وأبيض وأسود ، وأفضل وأكبر .

وهنا ينجم سؤال : ماالحكم إذا كان الوصف على وزن يَغلب وروده فى الفعل وليس على وزن أفعل ، وذلك نحو أُحَيْمِر ، وأسيود ، وأزيرق مصغر أحمر وأسود وأزرق ؟

الجواب أن نحو أحمير ، وأسيود ممنوعان من الصرف أيضا لغلبة ذلك الوزن فى الفعل نحو قول القائل : أنا أبيطر وأسيطر وأهُينِم .

---

(١) المصون للعسكرى ص ٦٤ .

(٢) انظر الألف المختارة لكاتبه فى الحديث ٦٩٢ . وكذلك اللسان (بجح) وفيه : « وبجَّحته أنا تبجيحاً فتبجَّجَ ، أى فرّحته ففرِح » .

وبناء على ذلك كان قول ابن مالك في الألفية :

ووصفٌ أصلى ووزنُ أفعلا ممنوعَ تأنيث بتا كأشهلا

موضعَ اعتراضٍ عند النحويين ، وقالوا : الأرجح قول ابن مالك نفسه فى متن الكافية :

ووصفٌ أصلىٌّ ووزنٌ أُصِّلا فى الفعل تا أنثى به لن توصلا

ليشمل القول ماكان على وزن أفعل ، وكذلك ماكانَ على وزنٍ يغلب وروده فى الفعل .

وعلى ذلك إنّ ماورد فى اللسان (سود ٢٠٩) من قوله : « وتصغير الأسود أسيِّد ، وإن شئت أسيودٌ ، أى قاربَ السوادَ » إنما هو خطأٌ ظاهر . والصواب : أسيِّدُ وأسيودُ ، ممنوعين من الصرف .

الجمع بين تاء المضارعة فى أول الفعل وبين نون النسوة :

قال الحريرى فى الدرة [١] ينعَى على العامة قولهم : الحوامل تُطْلَقْن ، والحوادث تَطرُقن ، فيغلَطون فيه ، لأنه لايُجمع فى هذا القبيل بين تاء المضارعة ونون النسوة التى هى ضمير الفاعلات ، ووجه الكلام فيه أن يلفظ بياء المضارعة ، كما قال تعالى : « تكاد السَّموات يتفطَّرْنَ منه » .

هذا ماساقه الحريرى . وقال الخفاجى فى شرحه على الدرة [٢] قال الزمخشرى :

فى هذه الآية قراءة غريبة ، وهى « تتفطرن » بتاءين مع النون. ونظيرها حرفٌ روِىَ فى نوادر ابن الأعرابى ، وهى تشممن . ا هـ . فإذا

---

(١) درة الغواص للحريرى ص ١٣٨ .

(٢) شرح الدرة للخفاجى ص ١٨١ .

قرئ به وورَدَ فى كلام فصحاء العرب قديما ، فكيف يتأتّ ماذكره المصنف ؟ ! فهو من قصور الباع وقلة الاطلاع !

وأقول : قراءة التاءين مع النون من رواية يونس عن أبى عمرو فى الآية الخامسة من سورة الشورى ، كما هو عند الزمخشرى . ورواها ابن خالويه » : « تنْفطِرنَ » من الانفطار فى شواذ سورة الشورى من رواية يونس عن أبى عمرو أيضا .

الظـرف المستقَرّ :

يخطئ بعض المعربين حينما يقولون : ظرف لغوٌ وظرف مستقِرّ ويكسرون قاف « مستقِرّ » ، والصواب فتحها . قال الصبان [1] فى باب الابتداء : « واعلمْ أنَّ كلًّا من الظرف والجار والمجرور قسمان : لغو ومستقَرّ بفتح القاف » .

ثم يعلل ذلك بقوله : « وسُمِّى اللغو لغواً لخلوّه من الضمير فى المتعلّق ، والمستقَرّ مستقَراً ، أى مستقراً فيه لاستقرار الضمير فيه » .

إذا عرف السبب بَطَل العَجب :

كلمة عائرةٌ ، أو مثلٌ شارد ، يجرى كثيرا على ألسنة المعاصرين وكأنَّه وليد اليوم أو نتاج الأمس ، على حين نجده يضرب بعرقٍ أصيل فى القِدَم إلى نحو تسعة قرونٍ ماضية ، أدناها إليها ماجاء فى كتاب المرتَجَل لابن الخشاب المتوفى سنة ٥٦٧ وهو شرح على كتاب الجمل لعبد القاهر الجرجانى . قال فى المرتجل [2] : « التعجب معنى من المعانى التى

---

(١) حاشية الصبان على الأشمونى ١ : ٢٠٠ .

(٢) المرتجل لابن الخشاب طبع دمشق ١٣٩٢ ص ١٤٥ .

تعرض في النفوس ويكون ممّا خفي سببه وخرج عن نظرائه . وربَّما عبّروا عن هذا المعنى بعبارة أخرى هي : التعجُّب يكون مما ندَر من الأحكام ولم تعرف عِلّته . فإن أخلَّ هذا المعنى بأحد الشرطين بطل التعجب . ولهذا قال القائل ، وهو قول مستفيض في الناس : « إذا عرف السبب بَطَل العجب » .

وأقول : إني لم أجد هذا المثل فيما لديّ من كتب الأمثال . ولأمرٍ ما أحببتُ أن تكون كلمتي اليوم على هذا الغرار الذي توخّيته منذ عهدٍ ليس بالقريب ، وهي أشتات نادرة متفرقة،لأعلن أنَّ تراثنا يزخر بالكثير من العجب . وإذا عرف السّبَب بَطَل العجب !

* * *

من كناشة النوادر

- ٤ -

أول جِمال يراها الأوربى :

حينما عبر يُوسف بن تاشفين من بلاد المغرب الى بلاد الأندلس فى سنة ٤٧٩ ، ورأى الأدفونش اجتماعَ العزائم على مناجزته ، عَلِمَ أنه عام نِطاح ، فاستنفرَ الفرنجة للخروج ، فخرجوا فى عدد لا يحصيه الّا الله تعالى .

يقول ابن خَلّكان : ولم تزل الجموعُ تتألف وتتدارك ، إلى أن امتلأت جزيرةُ الأندلس خيلًا ورَجْلا من الفريقين ، كلُّ أناس قد التقوا على مَلِكهم ، فلمَّا عبرت جيوشُ يوسف بن تاشفين عبَرَ فى آخرهم ، فأمر بعبور الجمال ، فعبر منها ماأغصَّ الجزيرةَ ، وارتفع رُغاؤها إلى عَنَان السماء ، ولم يكن أهل الجزيرة رأَوْا قطُّ جَملًا ، ولا كانت خيلُهم قد رأت صُوَرها ولا سمعتْ أصواتها . وكان ليوسف بن تاشفين فى عبورها رأىٌ مصيب ، كان يُحدِق بها عسكره ، وكان يُحضرها الحرب ، فكانت خيلُ الفرنج تُحجِم عنها .

وكان ذلك فى وقعة الزَّلّاقة التى هُزِم فيها الأدفونش فى دون الثلاثينَ

(*) مؤتمر الدورة الثامنة والأربعين .

من أصحابه ، وغنم المسلمون من أسلحته وخيله وأثاثه ما ملأ بلادهم خَيْرا .

تامور الزكــاة :

الزكاة إحدى الدعائم الخمس فى الإسلام ، ولعلّها أكثر هذه الدعائم خضوعاً لرقابة الحكام والولاة الذين وَظّفوا لها الدواوين والعمال ، لإحكام أدائها ومصارفها .

والناظر فى كتابَي الأحكام السلطانية للماوردى المتوفى سنة ٤٥٠ والأحكام السلطانية لأبى يَعلى الحَنْبلى المتوفى سنة ٤٥٨ يجد دُستورا حافلًا لتنظيم الأموال ، ما كان منها زكاةً وما كان فيئاً ، أو جزية ، أو خَراجا .

ويذكر ابن حجر فى تهذيب التهذيب (١) أنَّ مَسلمة بن عبد الله الدِّمَشْقى ، أحد الرواة عن عمر بن عبد العزيز ، كان صاحب « تامور الزكاة » .

فهذا استعمالٌ قديم لكلمة « تامور » العربية الأصيلة ، التى فسرت بأنَّها دفتر الزكاة ، فكأنَّ مسلمة هذا كان المسجِّل لموارد الزكاة ومَصَارفها

والتامور فى اللغة : غِلاف القلب ، أو حَبّته ، أو دمُه ، كما أن التامور وعاءُ الوَلَد ، وماء الركيَّة ، يُقال : فى الركية تامور ، أى ماء .

---

(١) تهذيب التهذيب ١٠ . ١٤٤ .

رفيف العيــن :

أخذنا نحن العربَ كما أخذ الناسُ جميعاً ، أن نتفاءل ونتشاءم بما نَجِدُ وما نلقَى ، ولعَلّ أقربَ الأمور فيما يتفاءل به النَّاس هو الأعين إذا مابدَت خَلَجاتها .

ومن النصوص القديمة فى ذلك ما أنشده الآمدىُّ فى المؤتلف والمختلف (١) من قول جَمِيل بن سِيدان الأسدىّ ، وهو أحد الأعراب :

أيا جُمْلُ هل دين مُؤدًّى لحِينهِ   فقد حَلّ ذاكِ الدَّينُ واحتاج طالبُه
فطالت به أحـلامُه إن قضيتِه   وظَلَّ بما مَنّيتِ يَلمعُ حاجبُـه

وقال الآمدى تعليقا على هذا : يلمع حاجبه : يختلج ، كأنه يبشِّره بوصالك .

ويقول أيضا : وعندهم أنَّ الجفن الفَوْقانىّ إذا اختلج فهو بشارة . وأنشد أبو عبيدة :

لم أدرِ إلّا الظـنَّ ظنَّ الغائِب   أبك أم بالغَيبِ رَفَّ حاجِبى

أى اختلج ..... ويقال : إن الجفن الأسفلَ يُؤْذِن بغَمّ ، كما أنَّ الأعلى يُؤذِن بِبشارة .

أجـرة الخان فى اليوم :

الخان كلمة فارسية معرَّبة ، وهذا يُعطِى أنَّ اسلافنا العرب إنَّما اتَّخذوا نظامَها مِن بَعدُ نقلًا عن الفرس ، فقد كانت خيام العرب

(١) المؤتلف والمختلف ص ٧٣ .

وبيوتُهم ، ونيرانُهم بأعالى اليفاع ، وذبائحهم ، هى الخانّ لكلِّ مسافر أو نزيل ، يَقْرونه تمامَ القِرى ، ويُتْبعونه الكرامة حيث مال ... وبخروجِ العرب من جزيرتهم فى أسفارهم كان من الطبيعىِّ أن تُنشأ الخانات والمنازل ، فى طريق السَّفَر ، وفى المدن أيضا .

ولعلَّ خانات المنازل فى السفر كانت أقلَّ نفقة ، فإنَّ منها ما كانت تتكفَّل به الدَّولة الإسلامية فى مختلف عصورِها ، ولا كذلك المدن ، ولسنا نعرف بالتَّفصيل ماكان يجرى فى خان الخليلى بالقاهرة المُعِزّية على مرِّ العصور وكرِّ الدهور .

والذى نريد أن نصل إليه هو مستوى الأجور فى هذه الخانات ، وقد عثَرت على نص نادرٍ لولد ابن عائشة الذى توفى أبوه سنة ٢٢٧ يقول الولد شاكياً لأبيه مالقىَ من ضيقٍ فى بغداد ، وأنّ آماله الجسامَ فيها تناثرت بين يديه ؛ فكتب فى آخر كتابه إليه (١) :

أنا فى الخان أؤدِّى كلَّ يومٍ درهمينِ
نازلٌ فيه على نفـ ـسِى على سُخْنة عينِ
وأُرانى عن قليلٍ لابساً خُفَّىْ حُنينِ

فأين هذه الشكوى مما نراه فى خاناتنا وفنادقنا !

أما لفظ « الخان » فيقول فيه الجواليقى (٢) « والفُندق بلغة أهل الشام : خانٌ من هذه الخانات التى يَنزِلها الناس ، ممَّا يكون فى الطُّرق والمدائن » .

---

(١) المصون للعسكرى ١٩٣ .

(٢) المعرب للجواليقى ٢٣٩ .

أما صاحب القاموس فلم ينصَّ على تعريبها . والذى فيه أنَّ الخان هو الحانوت أو صاحبه .

وأمّا صاحب اللسان فينصُّ على التعريب ويقول : « الخان : الحانوت ، أو صاحب الحانوت ، فارسيٌّ معرب ، وقيل : الخان الذى للتجَّار » .

وأما أدّى شِير فيقول (١) : الخان فارسى بحت ، وهو الحانوت ، وهو موجودٌ فى جميع اللغات الشرقية والدَّارجة ، وهو يُطلق على الدكّان ، والمخْدَع ، والماخور .

وأما الميدانى فى كتابه السامى (٢) ، فيعرفه بأنه « كاروان سراى » أى منزل القوافل على الطريق ومحطُّ رحالهم .

الدوقيّـــــة :

نجد فى ثنايا كتب التاريخ ولاسيما ما كانت حوادثه متَّصلة بالروم والفرنجة لفظ « الدُّوقية » ، والدَّنانير الدُّوقيَّة » ، ولا نجد لها تفسيرا فى المعاجم القديمة والحديثة مع قِدَم استعمالها .

وقد وجدت تفسيراً لها فى صبح الأعشى (٣) حينما عرض للتعريف بالدَّنانير المسكوكة ، مماَّ يضرب بالديار المصرية ، أوّ يأتى إليها من

---

(١) الألفاظ الفارسية المعربة ٥٨ وذكر أنه مشتق من الآرامية مِن خانَ ، بمعنى مال واتجه . كما أن « الخان » بمعنى السلطان كلمة فارسية محضة تقال للسلاطين .

(٢) السامى فى الأسامى للميدانى ص ٤١٣ .

(٣) صبح الأعشى ٣ : ٤٤٠ — ٤٤٤ .

المسكوك فى غيرها من الممالك ، يقول القَلْقَشندى المتوفى سنة ٨٢١ فى تعريف الدنانير الدوقية :

وهى دنانير يؤتى بها من بلاد الإفرنجة والروم . ويقول : وهذه الدنانير مشخَّصة: على أحد وجهيها صورةُ الملك الذى تضرب فى زمنه ، وعلى الوجه الآخر صورتا بُطرس وبولس الحواريَّين اللذين بعث بهما المسيح عليه السلام إلى رومية ، ويعبَّر عنها ــ أى عن الدنانير ــ بالإفرنتية جمع إفرنتى ، وأصلها إفرنسى بسين مهملة بدل التاء المثناة فوق ، نسبة إلى إفرنسة مدينة من مدنهم ، وربَّما قيل فيها إفرنجة ، وإليها تنسب طائفة الفرنج ، وهى مَقرَّة الفرنسيس ملكهم ــ يعنى الملك فرانسوا ــ ويعبَّر عنها أيضا بالدُّوكات ، وهذا الاسم فى الحقيقة لا يطلق عليه إلّا إذا كان ضَرْبَ البندقية من الفرنجة ، وذلك أنَّ الملك اسمه عندهم دُوك ، وكأنَّ الألف والتاء فى الآخر قائمان مقام ياء النسب .

عاشـــــوراء :

يوم عاشوراء هو العاشر من المحرَّم عند العرب ، وتاريخه قديمٌ جدا ، يرجع إلى ماقبل الاسلام . وفى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان يومُ عاشوراء تصُومه قريشٌ فى الجاهلية ، وكان رسول الله ﷺ يصومه فى الجاهلية ، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه ، فلما فُرِض رمضان ترك يوم عاشوراء ، فمن شاء صامَه ومن شاء تركَه .

وفى الصحيح أيضا من حديث ابن عبَّاس أنَّ النبى ﷺ قدم المدينة فرأى اليهود تصوم يومَ عاشوراء فقال: ما هذا ؟ قالوا : هذا يومٌ

صالح ، هذا يومَ نجّى الله بنى اسرائيل من عدوِّهم ، فصامه موسى . قال : « فأنا أحقُّ بموسى منكم » ، فصامه . وبذلك صار صوم يوم عاشوراء فرضاً ، ثم أصبحَ فيما بعدُ سنّة إسلاميّة .

ولسنا بحاجةٍ إلى سرد مباهج هذا العيد عند مسلمى مصر ، والتزامهم إلى الآن بعملِ مايسمُّونه العاشوراء من حُبوب القمح ، لايكاد بيتٌ من بيوتهم يخلو من صُنْعها أو ذوقها .

وحين نكُرُّ البصر الى أصله عند اليهود نجد أنّه العاشرُ أيضا ، لكن لا من المحرَّم بل من شهورهم العِبرية ، وهو شهر تَشرى .

ويذكر البِيرونى فى الآثار الباقية [١] أن صوم هذا اليوم هو الصوم المفروض من بين سائر صيام اليهود ، ويسمَّى صوم الكبُّور ، يصومونه خمساً وعشرين ساعة . ومن لم يصمْ وجب عليه القتل .

ومما يُذكر أنّ البِيرونى كان من أعظم العلماء خبرةً بأخبار اليهود . وصيغة (فاعولاء) ، من الصيغ النادرة فى العربية ، لانكاد نجد منها إلَّا تاسوعاء وهو التاسع من المحرم . والضاروراء : الضراء ، والسَّاروراء : السَّرّاء ، والدَّالولاء : الدلالة

ولم أجدْ هذا الاحصاء فى مرجعٍ إلّا فى لسان العرب فى مادة (عشر) عن ابن بُزُرج . وزاد عليه ابن الأعرابى الخابوراء : موضع . ولم يتعرَّض ابن خالويهِ لهذه القضية . وعقد لها السيوطى فى المزهر [٢] فصلًا

---

(١) الآثار الباقية للبيرونى ٢٧٧ .

(٢) المزهر ٢ : ٦٩ .

قال فيه : « وزاد ابن خالويه : ساموعاء ، قال : وهو اللحم فى التوراة » .

ولم أجد هذا فى كتاب ابن خالويه ، ولعله من كتاب آخر .

سَنَــة الفقهاء :

قال أبو جعفر الطبرى فى تاريخ سنة ٩٤ من الهجرة : « وكان يقال لهذه السَّنة : سنة الفقهاء ، مات فيها عامة فقهاء أهل المدينة ، مات أوَّلَها علىٌّ بن الحسين عليه السلام ، ثم عروة بن الزبير ، ثم سعيد ابن المسيَّب ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام » .

واقتصر الطبرى على هذا . ولم يذكر علىَّ بن الحسين بوصفه فقيها ، بل ذكر وفاته فقط .

وقد وجدت الصفدى فى نكت الهميان [١] يعيِّن هؤلاء الفقهاءَ فى دقّةٍ وتفصيل ، وذلك فى ترجمته لأبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام بن المُغيرة إذ يقول :

« وكان من سادات التابعين ، ويسمى راهبَ قريش » .

ويذكر أنه توفى سنة ٩٤ للهجرة ، وهذه السنة تسمَّى سنة الفقهاء لأنَّه مات فيها جماعةٌ منهم . وهؤلاء الفقهاء السبعة كانوا بالمدينة فى عصرٍ واحد ، وعنهم انتشر العلمُ والفُتيا فى الدنيا ... وقد جمعهم بعض الشعراء فى بيتين :

---

(١) نكْت الهميان فى نُكَت العُميان للصفدى ١٣١ .

أَلَا كلُّ من لا يقتدى بأئمّةٍ فقِسْمتُه ضِيزَى عن الحقِّ خارجه
فخُذْهم : عُبَيد الله عُروةُ قاسمٌ سعيدٌ سليمانٌ أبو بكرٍ خارجَه

وأنّما قيل لهم الفقهاء السبعة لأنَّ الفتوى بعد الصحابة صارت إليهم وشُهِروا بها.وكان فى عصرهم جماعةٌ من العلماء ، مثل سالم بن عبد الله بن عمر ، ولكن الفَتوى لم تكن إلّا لهؤلاء السبعة .

وأقول : أمّا عبيد الله فى هذا الشعر فهو عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود الهُذَلى . وكان مع زهده وورعه شاعراً مُجيدا . وقال ابن عبد البر : كان أحد الفقهاء العشرة ، ثم السبعة الذين تدور عليهم الفتوى .

وأما عُروة فهو عروة بن الزبير بن العوَّام ، حفيد أبى بكر ، أمه أسماءُ بنت أبى بكر ، وهو أخو عبد الله بن الزُّبير ومصعب .

وأما قاسم فهو قاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق . وكان ابن سِيرينَ يأمرُ من يحجُّ أن ينظر إلى هذى القاسم فيقتدىَ به . وكان صموتاً شديد الصمت ، فلما وِلِىَ عمر بن عبد العزيز قال أهل المدينة : اليوم تنطق العذراء !! يعنونه بذلك . قال يوسف بن عبد الله النَّمَرىّ فى بهجة المجالس (١) : كان القاسم بن محمد يلبس الخَزّ ، وسالم بن عبد الله يلبس الصُّوف ، وكانا يتجالسان فى المجلس ويتحدَّثان الدّهرَ ، لاينكر واحدٌ منهما لباسَ صاحبه ..

وأما سعيد فهو سعيد بن المسيَّب المخزومى ، وأبوه المسيَّب من أهل بيعة الرِّضوان . وفيه يقول الإمام أحمد : « ما نُودِىَ بالصلاة من

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس تحقيق محمد مرسى الخولى ٢ : ٦٤ .

أربعين سنة إلّا وسعيدٌ فى المسجد » .

وأما سليمان فهو سليمان بن يسار الهِلالى ، مولى أمِّ المؤمنين ميمونَة ، زوجِ رسول الله . وكان سعيد بن المسيَّب يقول للسائل : اذهبْ إلى سليمان بن يَسَارٍ ؛ فإنَّه أعلم من بقىَ اليوم .

وأمّا أبو بكر فهو أبو بكر بن عبد الرحمن ، الذى أسلفت شيئا من ترجمته فى أول هذا الفصل .

أما سابع هذه الحَلْبة فهو خارجة بن زيد بن ثابت الأنصارى ، وأبوه أبو خارجة زيد بن ثابت كاتبُ الوحى ، وبه كان يكنَى . قال المُصعب الزُّبيرى فى كتاب نسب قريش [١] : « كان خارجة وطلحةُ يقْسِمان المواريث ويكتبان الوثائق ، وينتهى الناسُ إلى قولهما » .

فهذا تاريخ رجال الحِقبة الأولى من أحقاب التشريع الإسلامى فى عُنفوانه ، وكانت السنة الرابعة بعد التسعين من الهجرة خاتمةً لحياتهم الحافلة بالفتوى والتشريع .

سَمّ الخياط :

لم يختلف المفسرون واللغويون فى فَسْر هاتين الكلمتين . فالسَّمّ هو الثَّقْب . والخِياط هو الإبرة التى يُخاط بها . ولكنهم ذهبوا مذاهب شتَّى فى تأويل قوله تعالى : « حَتّى يلج الجَمَل [٢] ». ويشتدُّ خلافهُم حين تختلف القراءات بين « الجَمَل » و « الجُمَّل » بالضم وتشديد الميم ، و « الجُمَل » بضم ففتح مع التخفيف ، و « الجُمْل » بضم فسكون

(١) نسب قريش لأبى عبد الله المصعب الزُّبيرى ص ٢٧٣ .
(٢) من الآية ٤٠ فى سورة الأعراف .

و « الجَمْل » بفتح فسكون . وقد تكفل أبو حيان [١] بنسبة هذه القراءات الخمسِ فى هذه الآية .

وقد اتَّفق السبعة على القراءة الأولى « الجَمَل » وفسِّر بهذا الحيوان المعروف زوج الناقة ، كما فسَّرها ابن مسعود تهكُّما منه بالسائل الذى لم يعرف معنى الجمل فى القرآن .

واختلفوا فى « الجُمَّل » أهو حبل السفينة الغليظ ، أم هو الحبل الذى يُصعَد به فى النخل . أما سائر القراءات فلا يخرج تفسيرها كذلك عن الحبل الغليظ .

فواضحٌ أنَّ أعلى القراءات هذه هى قراءة « الجَمَل » بالتحريك . وقد وجدت نحو هذا فى إنجيل مَتّى فى الفِقرتين ٢٣ ، ٢٤ من الأصحاح التاسع عشر :

« فقال يَسُوع لتلاميذه : الحقَّ أقول لكم ، إنَّه يعسُر أن يدخل غَنِيٌّ إلى ملكوت السموات . وأقول لكم أيضا : إنَّ مرور جملٍ من ثَقْب إبرةٍ أيسر من أن يدخل غنىٌّ إلى ملكوت الله » .

الجمـــل عند اليهـــود :

جاء فى غزوة بنى قُريظة من السيرة ، أنَّ سلمى بنتَ قيسٍ ، وكانت إحدى خالات الرسول ﷺ قد صلَّت معَه القِبْلَتين [٢] ، وبايعته بيعةَ النِّساء ، سألته رِفاعةَ بنَ سَموءل القُرَظىّ . وكان النبى ﷺ قد أمر

---

(١) البحر المحيط لأبى حيان ٤ : ٢٩٧ ـــ ٢٩٨ .

(٢) القبلة الأولى قبلة المسجد الأقصى والثانية قبلة الكعبة بالمسجد الحرام .

أن يُقتَل من بنى قُرِيظة كلُّ من أنْبَتَ منهم ، وكان رفاعة هذا قد بلغ ، فلاذَ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك ، فقالت : يانبىَّ الله ، بأبى أنت وأمى ، هَبْ لىَ رفاعة ، فإنه قد زعم أنه سيصلِّى ويأكل لحم الجمل — وهى عبارة تحتاج إلى وقفةٍ وتفسير — قال ، أى الراوى : فوهَبَه لها فاستحيَتْه .

وهذه رؤيةٌ صادقة لحالِ من كان يدخل الإسلام من عَرَب اليهود ، فإنّه يجد الإسلامَ قد وسَّع له مجال الطعام فى مطعمٍ هو أشيعُ المآكل عند العرب ، وأقربُها إلى أذواقهم ، وهو لحومُ الإبل وشُحومُها .

وقد نصَّ القرآنُ الكريم على ما كان من تحريم كثير من اللحوم والشُّحوم على بنى إسرائيل : « وعلى الذين هَادُوا حَرَّمْنا كلَّ ذِى ظُفُرٍ ، ومن البقر والغنمِ حَرَّمْنا عليهم شُحومَهُمَا إلَّا ما حملت ظهورُهما أو الحَوَايا أو ما اختلطَ بعظمٍ ، ذلك جَزيناهم ببَغْيِهِمْ وإنَّا لصادقون (١) ». يقول أهل اللغة والمفسِّرون : إنّ المراد بذوات الظفر يعمُّ ذواتِ المناسم ، من الإبلِ والنَّعام ، لأنَّها كالأظفار لها ، وكذلك ما ليس بذى أصابعَ منفرجةٍ كالبطّ والإوزّ .

فى مجال التأليف :

بَسط الإسلام نورَه على دنيا الثقافة بَسطاً عريضا ، فكان نشاطُ التأليف عبقرياً من حيث العددُ والكَمّ ، ومن حيث النَّوع والكيف ، كما يقولون . وأمامنا أمثلةٌ عظيمة من نشاط الجاحظ وأبى عبيدة ، والمدائنى ، وابن سينا ، والصَّفدىّ ، وابن منظور .

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٤٦ .

ولعلَّ من ألمع المؤلفين فى العصور القريبة العلاّمة ابنَ حَجَر (٧٧٣ ــ ٨٥٢) ، وجلالَ الدين السُّيوطى (٨٤٩ ــ ٩١١) ، الذى يقول : « شرعت فى التصنيف فى سنة ست وستين وثمانمائة ــ أى فى السابعةَ عشرةَ من عمره ــ وبلغت مؤلفاتى إلى الآن ثلثمائة كتاب سوى ماغَسَلته ورجَعت عنه » . وقد استمر السيوطى بعد مقاله هذا يكتُب ويؤلف . وقد عدَّ له بروكلمان ٤١٥ مصنفًا ما بين مطبوع ومخطوط ، والعلاّمة فلُوجِل ٥٦٠ مصنفا ، وذكر له الأستاذ جميل العَظْم ٥٧٦ مصنَّفا بين كتب ورسائلَ ومقامات .

وفى تاريخ ابن إياس [١] أن مؤلفاته بلغت ستمائة مؤلف . منها : عقود الجوهر، فى من لهم خمسون تصنيفا فمائة فأكثر .

وكان السيوطى قد بَرِعَ فى علوم كثيرة ، وكان علم الحساب والمنطق فى موقعٍ منه يخشاه ويتَهيَّبه ، يقول : « وأمَّا علم الحساب فهو أعسر شيءٍ علىَّ وأبعدُه عن ذهنى ، وإذا نظرتُ فى مسألة تتعلَّق به فكأنما أحاول جبلًا أحمله » .

ويقول أيضا : « وقد كنت فى مبادىء الطلَّب قرأت شيئاً فى علم المنطق ، ثم ألقى الله كراهتَه فى قلبى ، وسمعتُ أنَّ ابن الصلاح أفتى بتحريمه ، فتركتُه لذلك ، فعوَّضنى الله تعالى عنه علمَ الحديث الذى هو أشرفُ العلوم » .

ويروى لنا السيوطى فى ترجمة إسماعيل بن أبى بكر اليمنى ، أنَّه كان غايةً فى الفهم والذكاء ، صنَّف كتابا سماه « عنوان الشَّرف » مجموعة فى الفقه ، وفيه أربعة علوم غيرُه تخرج من رموزه فى المَتْن ، عجيبُ الوضع ،

---

(١) بدائع الزهور فى وقائع الدهور لابن إياس ٣ : ٦٣ .

وهو نحوٌ وتاريخ ، وعَروض ، وقوافٍ ، فى خمس كراريس فى كامل الشَّامى » .

ثم يقول السيوطى عن نفسه : « وقد عَمِلتُ كتاباً على هذا النَّمَط فى كرّاسةٍ واحدة فى يوم واحدٍ وأنا بمكة المشرفة ، وسميته « النَّفحةَ المِسْكيّة ، والمِنْحة المَكّيَّة »،جعلته مجموعةً فى النحو،وفيه عروض ومعان وبديع وتاريخ (١) .

ولا ريب أنَّ هذا عملٌ عبقرىّ يفخر به التأليف العربىّ .

لسـان العــرب :

قد يُظن أنَّ هذه التسمية تسميةٌ فريدة بين المعاجم ، أو أنَّ أول من أطلق هذه التسمية على كتابٍ هو جمال الدين محمد بن مكرَّم بن منظور الإفريقى المصرى . ولكنّى عثرت على نَصٍّ فى طبقات الأطباء لابن أبى أُصَيبعة (٢) يذكر أنَّ لابن سينا الحُسين بن عبد الله كتابا سماه (لسان العرب) فى عشر مجلدات .

ومن المعروف أنّه كان للرئيس ابن سينا مشاركاتٌ شتّى فى علوم العربية ، منها كتاب أسباب حدوث الحروف ، وكتاب المُلَح فى النحو .

ويذكر القُفطى فى ترجمة أبى منصور الجَبَّان معاصرِ ابن سينا ومنافسِه فى الدولة البُوَيهيّة ، أنّ أبا منصور هذا شرع فى تصنيف كتابٍ

---

(١) بغية الوعاة للسيوطى ١٩٤ .

(٢) طبقات الأطباء ص ٤٤٠ .

فى اللغة أحسَن تَرتيبَهُ وتبويبَه ، واستوفى فيه اللغةَ غايةَ إمكانه ، وجاء كبيراً وسماه (لسان العرب) ، ومات قبل إخراجه من المسوَّدة ، فبقى على حاله . فهذا لسانُ عربٍ ثالث .

ولعل السرَّ فى إقبال ابن سينا على التأليف اللغوى ما كان من هزيمته أمام أبى منصور الجبَّان فى مجلس علاء الدولة بن فخر الدولة بن بُويه . يقول القفطى (فى إنباه الرواة) (١) : « وبعد انفصاله من المجلس ـــ يعنى الرئيس ابن سينا ـــ نَظَر فى اللغة وتبحَّر فيها ، وعمِل رسائل أودعها نوعاً متوافرا من اللغة » .

تهذيب الحيــوان :

من بين ما صنعتُ فى مؤلفاتى : تهذيب سيرة ابن هشام ، وتهذيب إحياء علوم الدين للغزالى ، وتهذيب كتاب الحيوان (٢) . وقد ظنّ بعض الإخوة من الأدباء أنّى قد انفردت بهذا العمل فى كتاب الحيوان ، وراقه صنيعى ، وكتب إلىَّ مُثْنيا .

والحقّ أنه قد سبقنى إلى تهذيب الحيوان عالمان جليلان من علماء القرن السابع ، أما أحدهما فهو شاعرُنا المصرى هِبة الله بن جَعفر بن محمد سَنَاء الملك ، المعروف بابن سناء الملك (٦٠٨) ، قال ياقوت فى ترجمته (٣) : وصنف كتاب رُوح الحيوان ، لخَّص فيه كتاب الحيوان للجاحظ .

---

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة ٤ : ١٧٠ .

(٢) طبع للمرة الأولى سنة ١٣٧٧ فى جزأين ، وأعيد طبعه فى مجلد كبير سنة ١٤٠٣ .

(٣) معجم الأدباء ١٩ : ٢٦٥ .

ويقول ابن خلكان [١] بعده فى ترجمةٍ له أيضا : « واختصر كتاب الحيوان للجاحظ ، وسمى المختصر : (رُوح الحيوان) » ، وهى تسميةٌ لطيفة .

كما يُشير صاحب كشف الظنون إلى أنَّ للموفَّق البغدادى اختصاراً آخر للحيوان . والموفق هذا هو عبد اللطيف بن يوسف بن محمد ، المعروف بابن نُقْطة ، المتوفى سنة ٦٢٩.وكلا المختصرين قد ذهبَ فى طيات التاريخ فلم نر لأحدِهما أثرا .

مقامات الحريرى :

جاء فى تاج العروس (زوك) : وزاكان مدينة بالعَجَم ، منها عُبيد الزَّاكانى ، صاحب المقامات التى ضاهى بها مقاماتِ الحريرى فأغرَبَ وأعجب . وهى بالفارسية ، رأيتها فى خزانة الأمير صَرْغَتْمش .

أجزاء القرآن الكريم :

يروى اليعقوبى (ـــ ٢٩٢) فى تاريخه [٢] أن مصحف على بن أبى طالب كان فى سبعة أجزاء : (الجزء الأول) : البقرة وسورة يوسف والعنكبوت ، والروم ، ولقمان ، وحم السجدة ، والذاريات ، وهل أتى على الإنسان ، وألّم تنزيل السجدة ، والنازعات ، وإذا الشمس كورت ، إذا السماء انفطرت ، إذا السماء انشقت ، وسبح اسم ربك الأعلى ، ولم يكن . وهو جزء البقرة ، وعدد آياته ثمانمائه وست وثمانون آية ، وهو ست عشرة سورة .

---

(١) وفيات الأعيان ٢ : ١٨٨ .

(٢) تاريخ اليعقوبى ٢ : ١١٣ . وهو أقدم مؤلف تاريخى .

وعلى هذا النمط وتعداد الآى الست والثمانين والثمانمائة يكون « جزء آل عمران » (١٥ سورة) « وجزء النساء » (١٧ سورة) « وجزء المائدة » (١٥ سورة) « وجزء الأنعام » (١٦ سورة) « والأعراف » (١٦ سورة) و « الأنفال » (١٦سورة) .

وقد وجدت فى مطالعاتى وفيما أحيَيْتُ من التراث أنّ أول محاولةٍ لتجزئة القرآن كانت تجزئة حسابية عددية لاتجزئةً مصحفيّة كما هو المألوف فى المصحف الكريم المتداوَل بيننا اليوم ، وهى المحاولة التى رواها أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب فى مجالسه [٢] التى حققتها منذ خمسة وثلاثين عاما ، يعزوها إلى القارىء المكى حُميد الأعرج المتوفى سنة ١٣٠ أنه حَسَب نصفى القرآن بعدد الحروف ، ثم ثلاثة أثلاثه ، وأربعة أرباعه ، إلى أن انتهى الى عشرة أعشاره ، وبلغ من دقَّته أنه كان يجزِّىء الكلمة الواحدة فى التعداد فيجعل على سبيل المثال (مأ) نهاية للثمن الأول من المصحف ، و (واهم) بدءاً للثمن الثانى ، وهى كلمة (مأْواهُمْ) . ومن البديهى أن هذا التقسيم إنَّما هو ضربٌ من العناية والدراسة ، لا دخل له بتجزئة الكتاب الكريم . ومهما يكن فإنّه يدلُّ على عبقرية حسابية .

أمّا أقدم تقسيم مصحفيٍّ منصوص عليه فهو التقسيم الرباعى ، المنصوص عليه فى البرهان للزركشى [٢] (٧٤٥ ـــ ٧٩٤) بناءً على

---

(١) مجالس ثعلب ١ : ٦٣ نشر للمرة الأولى سنة ١٣٦٨ (١٩٤٨) والمرة الرابعة سنة ١٤٠٠ (١٩٨٠) .

(٢) البرهان ١ : ٢٤٤ .

تأويل الحديث ، عن واثلة بن الأسقع ، عن النبى ﷺ قال : « أُعطِيت السِّبع الطُّوَل مكان التوراة ، وأعطيت المِئِينَ مكانَ الإنجيل ، وأعطيت المثانىَ مكان الزَّبور ، وفُضِّلت بالمفصَّل » .

فالسَّبع الطُّوَل (١) أّولها البقرة وآخرها براءة ، لأنَّهم كانوا يعدُّون الأنفال وبراءة ـــ أى التوبة ـــ سورة واحدة . والمئون ماولى السَّبع الطُّوَل ، لأنَّ كلَّ سورةٍ منها تزيد على مائة آية أو تقاربها . والمثانى ماَولىَ المئين ، لأنّ الأنباء والقصص تثنَّى فيها بصفةٍ خاصّة . والمفصَّل : مايلى المثانى من قِصار السُّوَر ، سمِّى مفصلا لكثْرةِ الفصول التى بين السور ببسم الله الرحمن الرحيم .

ونحو هذا التقسيم مع شيء من التفصيل فى الإتقان للسيوطى (٢). ويذكُر أنَّ أّول اشارة لِتَحزِيب المصحف وتجزئته إلى ثلاثين ما ورَدَ فى البرهان للزركشى (٣) إذ يقول :

« وأما التحْزيب والتجزئة فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين ، كما فى الرَّبَعات بالمدارس وغيرها » .

ولعل لفظ (الرَّبْعة) الوارد فى هذا النَّص يُعنَى به المجموعة التى تُربَع ، أى تُحَمل وترفع .

وقد شاعت أيضا كلمة (الخَتْمة) ، ويذكر المرتضى الزَّبيدى فى مستدرك تاج العروس أن الخَتمة بالفتح ويكسر : المصحف ، عاميّة .

---

(١) الطول : جمع الطُّولى ، كالكُبَر جمع كُبرى . قال أبو حيان التوحيدى : وكسر الطاء مرذول .

(٢) الإتقان ١ : ١٧٩ ـــ ١٨٠ .

(٣) البرهان ١ : ٢٥٠ .

ووصفهُ اللفظةَ بأنَّها عامية ليس كما ينبغى ، والأوْلَى أن يقال إنَّها مولَّدة صحيحة ؛ لأنَّ القارئ يختمها بإكمال تلاوته لَها جميعها ، فهى تسميةٌ باسم المرة .

ألفية ابن مالك :

من المعروف أنَّ عدد الأبيات التى نظم فيها ابنُ مالك ألفيّته هو الأَلْف . وقد بدا هذا واضحاً فى كل مخطوطاتها وطَبَعاتها . ولكنّى وجدت الصبّان فى حاشيته على شرح الأشمونى [١] (فى باب الوقف) يقول ، تعليقا على بيت ابن مالك :

ووصلُها بغير تحريكِ بِنا أُدِيمَ شَذَّ فى المُدَامِ استُحِسنا

قال : يوجد فى بعض النسخ قبل هذا البيت :

ووصل ذى الهاءِ أجزْ بكلِّ ما حُرِّكَ تحريك بناءٍ لَزِما [٢]

وبذلك يرتفع عَدد الأَبيات إلى ١٠٠١ .

من تاريخ الخط العربى [٢] :

يقولون : إنّ أوَّل من جَوّد خطّ المصاحف خالد بن أبى الهِياج ، وكان منقطعا إلى الوليد بن عبد الملك يكتب له المصاحف ، وكذلك أخبارَ العرب وأشعارها . ومن بعدِ خالدٍ عُرِف مالك بن دِينار السامىّ مولى بن سامة بن لؤىّ المتوفى سنة ١٣١ . وتعاقب التجويد بعد ذلك حتَّى بلغ غايته على رأس الثلثمائة ، على يد أبى على محمد بن مُقْلة ، وابنِه عبد الله بن مُقْلة . وأبو علِّي هو أولّ من هَندس الحروف وقدَّر مقاييسها

---

(١) حاشية الصبان ٤ : ٢١٧ .

(٢) انظر تحقيق النصوص ونشرها ٢١ ــ ٢٦ .

وأبعادها بالنقط ، وضبطهما ، فى إحكام صادق ، وسُمِّى خطّهُ بالخط المنسوب ، وفيه يقول أبو عُبيد البكرى صاحب المُعجم :

خطُّ ابن مقلةَ مَنْ أرعاه مُقلَته وَدَّت جوارحُه لو أصبحَتْ مُقَلَا[١]

وفى أوائل القرن الخامس ظهر أبو الحسن على بن هلال البغدادى المعروف بابن البوّاب المتوفَّى سنة ٤١٣ . وقد نوَّه أبو العلاء المعرى الضَّرير بابن هلال هذا فى إحدى بَغدادياته ، إذ يقول فى نعت الهلال :

ولاح هلالٌ مثلُ نونٍ أجادها بجارِى النُّضارِ الكاتبُ ابنُ هلال

جارى النضار : ماء الذهب .

ويقول ابن خَلّكان[٢] : وسألنى بعض الفقهاء بمدينة حلب عن قول بعض المتأخِّرين من جملة أبيات فى صفة كتَاب :

كتاب كوشيِ الروض خَطّت سطورَه يدُ ابنِ هلال عن فم ابنِ هلالِ

فقلت له : هذا يقول : إنّ خطه فى الحسن مثل خط ابن البوّاب وفى بلاغة ألفاظه مثل رَسائل الصَّابى ، لأنّه ابن هلال أيضا .

والصابى الذى يشير اليه ابن خلّكان هو المترسّل أبو إسحاق إبراهيم بن هلال المتوفى قبيل سنة ٣٨٠[٣] .

وبذاك نستطيع أن نضيف الى معاجم المُثَنَّى والمُبَنَّى : (ابنَا هلال) ... وممن عرف بجودة الخط بعد ابن هلال ياقوت بن عبد الله الرومى الموصلى المتوفى سنة ٦١٨ ثم ياقوت بن عبد الله الرومى ، أبو الدر

---

(١) شروح سقط الزند ١١٩٧ .

(٢) فى ترجمة ابن البواب على بن هلال ١ : ٣٤٥ ــ ٣٤٦ .

(٣) وفيات الأعيان ١ : ١٢ ــ ١٣ .

المتوفى سنة ٦٢٢. ثم ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى ، صاحب المُعْجَمَين المتوفى سنة ٦٢٦. ثم ياقوت بن عبد الله الرومى المستَعصمى مولى المستعصم المتوفى سنة ٦٨٩ .

فهؤلاء أربعة يواقيت عرفوا بجودة الخط وجماله فى تاريخ الكتابة العربية .

الثقة بالتواريخ المعاصرة :

من الخطأ الفاحش الذَّليل أن يُكلَّف مؤرِّخٌ معاصِرٌ تكليفاً ديوانياًّ أن يكتب تاريخا بإيعاز من ولىِّ الأمر مهما سمَتْ منزلته وعُرِف بالنزاهة ونَقاء الجيب وسلامة النفس ، إذْ ليس من طبيعة البشر إلّا أن يُجاملوا مُعاصريهِمْ ومَن هم فوقَهم مهما تصنَّعوا من عدالة وإنصاف ، فهذا الأسلوب مَضْيَعةُ تاريخٍ ، وبهتانٌ عظيم .

ومن نماذج هذا الخطأ فى القديم ما أمر به عضدُ الدّولة بن بُوَيه الدَّيلمى ، أبا إسحاقَ الصابى السابق الذكر ، أن يصنَع له كتاباً فى أخبار الدولة الدَّيلميَّة ، فعمِلَ الصابى هذا الكتاب وسمّاه « الكتاب التاجى » فماذا حدث بعد ذلك ؟ قيل لعضد الدولة هذا : إنَّ صديقاً للصابى دخَلَ عليه فرآه فى شُغلٍ شاغل من التَّعليق ، والتَّسويد والتبييض ، فسأله عمَّا يعمل فقال : أباطيل أنمِّقُها ، وأكاذيب أُلفِّقها :

يقول ابن خلكان راوى الخبر (١) : « فحرّكَتْ سَاكِنَه وهيَّجَتْ حِقده . ولم يزَلْ مبعَداً فى أيامه » .

وكان عضد الدولة قبل هذا التكليف قد أرهبَه واعتقله ، وعزم على

---

(١) ابن خلكان ١ : ١٢ .

إلقائه تحت أيدى الفِيَلَة . فشفعوا فيه ، ثم أطلقه ورسم له أن يكتب هذا التاريخ الملفقَّ المُنَمَّق .

القُسامة :

جاء فى اللسان (١) : القُسامة بالضم : ما يأخذه القَسَّام من رأس المال عن أُجرتِهِ لنفسه من رأس المال . كما يأخذ السَّماسرة رسماً مرسوما لا أجراً معلوما ، كتواضعهم أن يأخذوا من كلِّ ألف شيئاً معيَّنا .. وذلك حرام .

ثم يقول : قال الخطابى (وهو أبو سليمان حَمْد أو أحمد بن إبراهيم بن الخطّاب المتوفى سنة ٣٨٨ ، وكان فقيهاً محدِّثا) :

قال : ليس فى هذا تحريمٌ إذا أخذ القَسّام أجرته بإذن المقسوم لهم ، وإنّما هو — أى التحريم — فيمن ولِىَ أمر قومٍ فإذا قسم بين أصحابه شيئا أمسَكَ منه لنفسه نصيباً يستأثر به عليهم .

وفى هذا النص الذى أورده صاحب اللسان مايكون ضِميمةً وسَنَداً لما يجرى الآن من خلافٍ حول المعاملات المصرِفية الحديثة .

فى مجال النحو واللغة :

(الدال اليابسة) من أغرب ما وجدتُه فى تعبيرات الضَّبط اللغوى المعجمى ، ما جاء فى كتاب « تحفة الأبيه ، فيمن نسب الى غير أبيه » من نوادر المخطوطات (٢) يقول مؤلفه الِفيروزا بادى ، فى ضبط جَحدم ،

---

(١) لسان العرب (قسم ٣٨٠) .

(٢) نوادر المخطوطات ١ : ١٠٦ .

« بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة ، وفتح الدال اليابسة » بدلا من قوله : « الدال المهملة » كما هو المألوف عند أصحاب المعاجم .

(ترجمة الجيم فى الأعلام والكلمات الأعجمية) يختلف العربُ المعاصرون فى ترجمة ما أوّله جيم غير معطَّشة من الأعلام والكلمات الأعجميّة . فأهل مصر يجعلونها جيماً قاهرية ، وكثير من العواصم العربية يجعلها غينا أو كافا .

وجاء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة (١) : « ويقول أبو بكرٍ الرازى فى كتاب الحاوى : إنه يَنْطلق — أى يطَّرد — فى اللغة اليونانية أن يُنطَق بالجيم غَيناً وكافاً ، فيقال مثلا جالينوس وغالينوس وكالينوس ، وكل ذلك جائز » .

(الإعراب) كما أسرف قومٌ فى إهمال الإعراب جهلًا أو تخلُّصا من الأخطاء ، نجد أنَّ قوما من العرب قد أسرفوا على أنفسهم فأُجَروا الإعراب فى الكلماتِ كلِّها وصلًا ووقفا .

وجدت فى كتاب سيبويه (٢) : « وزعَم أبو الخطّاب أنَّ أزد السَّراة يقولون : هذا زيدو ، وهذا عمرُو ، ومررت بزيدِى وبعَمْرِى ، جعلوه قياساً واحدا ، فأثبتوا الياء والواو كما أثبتوا الألف .

(تنوين الموصوف بابن) من المعروف عند علماء الرَّسم أن تُنقَص ألفُ ابن وابنة إذَا وقع أحدهما مفرداً نعتا بين عَلَمين مباشرين ، أوّلهما غير منوّن وثانيهما مشهور بالأبوّة ولو ادِّعاءً ؛ بشرط ألّا يكون فى أوّل سطر .

وهذا هو الجارى فى مألوف الرسم أو الإملاء كما يقولون اليومَ ،

---

(١) طبقات الأطباء ١٢٩ .

(٢) كتاب سيبويه ٤ : ١٦٧ بتحقيق كاتبه .

ونص عليه علماء النحو أيضا ، لكن هناك خلافا فى نحو أبو بكر بن أبى قحافة ، وعبد الله بن أم مَكتوم ، أى إذا وقع ماقبل الابن مضافا أو وقع مابعد الابن مضافاً .

يقول الصبان [(١)] ــ وهو نَصٌّ نادر ــ : « وجزم الرَّاعى بوجوب تنوين المضاف ، كما فى قام أبو محمدٍ بن زيد . واختاره الصَّفَوى فى تاريخه بعد نقل الخلاف . واختاره أيضا المصنّف ــ أى ابن مالك ــ إذا كان المضاف إليه ابنٌ مضافا ، أى فى نحو رأيت محمداً بنَ زيد العابدين » .

فهذان النموذجان عندهما يُكتبان ويقرآن بتنوين ما قبل الابن ، وبإثبات ألف ابن فى الكتابة كذلك .

والراعى الذى ذكره الصبان هو محمد بن محمد بن محمد بن إسماعيل الأندلسى ، نزيل القاهرة المتوفى سنة ٨٥٣ ، له شرحٌ على الألفية والآجُرُّومية [(٢)] .

(واحدَ عشر والواحد والعشرون) الفصيح فيهما أن يقال أحدَ عشر والحادى والعشرون ، لكنّهما وجهان جائزان . وفى التصريح [(٣)]: « وحكى الكسائىُّ عن بعض العرب واحدَ عشر على الأصل ، فلم يلتزم القلبَ كلُّ العرب » . وقد علَّق الأشمونى على هذا بقوله [(٤)] : « وأما ما حكاه الكسائى من قول بعضهم : وَاحِدَ عشر فشاذ نُبِّه به على الأصل

---

(١) حاشية الصبان ٣ : ١٤٤ . وانظر كذلك ابن يعيش ٢ : ٥ .

(٢) ملخص صغير نافع فى النحو كان معروفاً فى الدراسة الأزهرية القديمة نسبة إلى محمد بن محمد بن داود الصنهاجى ، المعروف بابن آجُرّوم بمد الهمزة وضم الجيم، ومعناه بلغة البربر: الفقير الصوفى . توفى سنة ٧٢٣ .

(٣) التصريح بمضمون التوضيح ٢ : ٢٧٧ .

(٤) شرح الأشمونى ٤ : ٧٧ .

المرفوض » ثم يقول « قال فى شرح الكافية : ولا يستعمل هذا القلب فى واحدٍ إلّا فى تنييف ، أى مع عشرة أو مع عشرين وأخَواته » .

(أى أنّ) يخطىء كثير من الكاتبين والمتكلّمين فى استعمال أنَّ المفتوحة الهمزة بعد أى التفسيرية ، والصواب « أى إنّ » بالكسر لاغير لأنّها تكون تفسيراً لكلام سابق ، أى لجملة لالكلمة ، وإذن فإنّ الواقعةُ بعدها هى بدء كلام ، فوجب كسر همزتها . ومثاله ما أسعفَنى به ابن منظور حينما أنشد بيتَ أمية بن أبى الصلت فى مادة (عول) :

سَلَعٌ ما ومِثْلُه عُشَرٌ ما   عائلٌ ما وعالتِ البَيْقُورا

وفسره فقال : « أى إنّ السنة الجدبة أثقلت البقرَ بما حُمِّلت من السَّلَع والعُشَر » . ولو أخطأ لقال : « أى أنَّ السنة الجَدبة » . وعلى هذا إذا فسَّرنا قول الشاعر :

وتَرمينني بالطَّرفِ أى أنت مذنبٌ   وتقلينني لكنَّ إيّاكِ لا أقلِى

قلنا : « أى إنّك مذنب » لا « أى أنّك مذنب » . أماَّ أى المفسِّرة للمفرد فلا تأتى بعدها أنّ مطلقا ، بل نقول : هذا عسجدٌ ، أى ذهب ؛ وغضنفر ، أى أسد . وما بعد أىْ عطف بيانٍ أو بدلٌ عند البصريين ، وعطف نَسقٍ عند الكوفيين .

(الطَّريحة) كلمة مولَّدة قديما ، تستعمل بمعنى الكمية التى يجب عملُها مطلقا ، من نَسْج ، أو بناءٍ ، أو طلاءٍ ، أو تصنيع ، أو كتابة أو تأليف . وجاء فى ترجمة عبد الملك بن سراج النحوى من كتاب بغية الوعاة [١] أنّه طال عمره مع البحث والتنقير ، وكان يقول : « طريحتى فى

---

(١) بغية الوعاة للسيوطى ٣١٢ .

كلِّ يومٍ سبعون ورقة » .

واشتقاقها من الطَّرح كأنَّ الشئ يُطرح أمامه ليعْمَله ، أو كأنّه طرحه من وراء ظهره بعد أن كان مُثقلًا به . وعبد الملك هذا ممن تُوفِّىَ سنة ٤٨٩ . فالاستعمال قديمٌ جدا .

(الحَلَزون) كلمةٌ عربيّة أصيلة ينسب إليها الشكل الحَلَزونى المعروف ، وهى أحد ما جاء على وزن فَعَلولٍ كالزَّرَجون للخمر والكَرْم ، والقَرَبوس لِحنْو السَّرج ، والقَرَقُوسِ للقاع الأملس الغليظ. وفى اللسان : « الأصمعىّ : حلزون : دابة تكون فى الرِّمْث » . وفى القاموس : « دابَّة تكون فى الرِّمث ، أو مِن جِنْسِ الأصداف » . ويفسره الدَّميرى فى حياة الحيوان (١) بأنّه دودٌ فى جوف أنبوبة حجرية ، يوجد فى سواحل البحار وشُطوط الأنهار . وهذه الدابة تَخرج بنصف بدنِها من جوف تلك الأنبوبة الصَّدَفية ، وتمشى يَمنةً ويسرة ، تطلب مادَّةً تغتذى بها ، فإذا أحسَّت بلينٍ ورطوبة انبسطت إليها ، وإذا أحسَّت بخشونة أو صلابة انقبضت وغاصت فى جوف الأنبوبة الصَّدفية ، حِذارا من المؤْذِى لجسمها . وإذا انسابت جَرَّت معها بيتها » .

وفى معجم المعلوف (٢) : « والحَلَزون عند عامّة أهل الشام ، الصَّغيرُ منه يسمُّونه فى العراق زلنطح وسلنطح . ويقول الصِّبيان : سَلَنْطح ياسَلنطح ، طلِّعْ قرونَك وانطَح » .

---

(١) حياة الحيوان ١ : ٣٥١ .

(٢) معجم الحيوان للعلامة الفريق أمين المعلوف ص ٢٣١ من نسخة مهداة إلىّ بخطه وكتب عليها : « هدية إجلال وإكرام إلى ابن صديقى » .

قلت . ولعل هذا تأصيلٌ لما تقوله عامة المصريين للرجل العَيَّار المرهوب الجانب لعدم مبالاته : « ظَلنطحجى » ، يعنون أنّه إذا استُثِير صارع قِرنه برأسه لايبالى ما صنع . « وجى » هى عَلامة النسبة فى التركية

(من غرائب التصحيف) والتصحيف آفةٌ من آفات العلماء لايكاد عالم فاضل يخلو منها مهما أوتى مِن علم . جاء فى شواهد الأشمونى قولُ ذى الرمة :

ويَسقُط بينها المَرَئى لغواً كما ألغيت فى الدِّية الحِوارا

البيت بهذه الصورة السَّليمة موثَّقٌ مفسَّر فى ديوان ذى الرمة [١] . ويقول الصبان ، وهو نحوى جليل فى التعليق عليه [٢] « قال البعض : ليس بنظم ، وانظر ماضبطه وما معناه ، فإنّى لم أقف عليه . لكن وُجِد فى بعض النسخ على كونه نظماً من بحر الوافر :

ويسقط منهما المرئى لَقْواً كماء العِنْب فى الدُّبَة الحَواءَ

بضمير التثنية فى : منهما ، وضبْط « لَقْوا » كغَزْو ، وسكون نون العِنْب ، وتخفيف باء الدُّبَة ، وواو الحَوَاء » .

وهكذا أفلت الزمام من عالم جليل ، ولكن لم يُفلت زمامنا فى الحُكْم له بالفضل . فلكلِّ جواد كَبوة ، ولكلِّ عالم هَفوة .

* * *

(١) ديوان ذى الرمة ١٩٦ طبع كمبردج ١٩١٩ .
(٢) حاشية الصبان ٤ : ١٩٢ .

من كناشة النـــوادر [١]

- ٥ -

أصِلُ ما انقطع من القول فيما عثَرت عليه من نوادر النصوص التى تزيدنا معرفة بالتراث العربى الخالد وكنوزه ، وبالجهود الفكرية لأسلافنا فى مختلف دروب الحياة الثقافية واللغوية والاجتماعية ، وأنا أرجِّى الخير فيما أطالع به أجلَّ الزملاء ، وأعزَّ الأحباب .

عشـــرة آلاف محبـَــرة :

كانت مجالس الحديث وسَماعِه حافلةً بطلَّاب الحديث ورواته . ويذكُر الحافظ الذهبى (فى تذكرة الحفاظ) بعد سرد الطبقة الثامنة من أكابر الحفّاظ الذين منهم الإمام أحمد بن حنبل ، ومحمد بن سعد الواقدى ، والدُّولابى ، ويعقوب بن إبراهيم الدورقى ، يقول الذهبى : « فهؤلاء المسمون فى هذه الطبقة هم ثقات الحفاظ . ولعلنا قد أهملنا طائفة من نظرائهم : فإنّ المجلس الواحد فى هذا الوقت كان يجتمع فيه أزيد من عشرة آلاف محبَرة ، يكتبون الآثار النبوية ، ويعتنون بهذا الشأن ، وبينهم نحو مائتى إمام قد برّزوا وتأهلوا للفتيا .

فأين نحن الآن من هذه الصورة المشرقة ؟ !

---

(١) ألقيت فى مؤتمر الدورة الخمسين الثلاثاء ٢٦ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٤ هـ ٢٩ من فبراير سنة ١٩٨٤ .

الحديث القُدْسى :

كثيرا ما يدور السُّؤال حول تعريف هذا النوع من الحديث ، وإلى ماذا يُنسب . أمَّا حدُّه فهو كل حديث يُضيف فيه رسول الله ﷺ قولًا الى الله عز وجل ، فيسمَّى الحديث حينئذ حديثا قُدسيًّا أو إلهياً . وقد ذكروا أن الأحاديث القدسية تزيد على مائة حديث .
وأمَّا نسبته فهى الى القُدْس ، وهو الطَّهارة والتنزيه .

والفرق بينه وبين القرآن أنَّ القرآن لفظُه ومعناه من عند الله ، بوحيٍ جليٍّ ظاهر . أما الحديث القدسى فلفظه من عندِ الرسول ، ومعناه من عند الله ، وقد يكون بوحيٍ جليٍّ أيضا ، وليس الوحى الجليُّ شرطا فيه . ويجوز روايته بالمعنى ، بخلاف القرآن الكريم .

وقد أمكننى أن أستخلصَ من أحد الكتب الستة ، وهو سُنَن ابنِ ماجه ستةَ أحاديث ، وهى [١] :

١ ــ « يقول الله عز وجل : أنَّى يعجزنى ابنُ آدمَ وقد خلقتُكَ من مثلِ هذه » .

٢ ــ « يقول الله تبارك وتعالى : مَنْ جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيدُ ، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئةٍ مثلُها أو أغفِر » .

٣ ــ « يقول الله سبحانه : أنا عند ظنِّ عبدى بى ، وأنا معه حين يذكرنى » .

٤ ــ « يقول الله سبحانة : يا ابن آدم تَفرَّغْ لعبادتى أملأْ صدرك غِنىً وأسدّ فقرك » .

---

(١) سنن ابن ماجه ٢٧٠٧ ، ٣٨٢١ ، ٣٨٢٢ ، ٤١٠٧ ، ٤١١٧ ، ٤٣٢٨ .

٥ ـــ « يقول الله سبحانه : الكبِرياء ردائى ، والعَظَمة إزارى ، مَن نازَعَنى واحداً منهما أُلقيهِ فى جهنم » .

٦ ـــ « يقول الله عز وجل : أعددتُ لعبادى الصالحين مالا عينٌ رأت ، ولا أُذنٌ سمعت ، ولا خَطَر على قلب بشر » .

وقد ألّف الإمام محيى الدين بن عربى كتاباً فى الأحاديث القدسية ، بلغ بها إلى واحد ومائةِ حديث . وللشيخ عبد الرءوف المُناوىّ [١] المصرىّ المتوفى سنة ١٠٣٥ كتابٌ فى ذلك سمّاه : « الإتحافات السنيَّة ، بالأحاديث القدسية » . ذكره صاحب كشف الظنون .

الذى زعم أنه يناجى الله :

جاء فى كتاب الحيوان ٦ : ١٥ وكان الرُّعاف من منايا جُرهُم ـــ أى ضرباً من الأمراض التى قضت عليهم ، والرُّعاف هو نزيف الأنف ـــ يقول الجاحظ : ولذلك قال شاعر فى الجاهلية من إياد :

ونحن إيادٌ عبادُ الإلهِ ورَهطُ مُناجيهِ فى سُلَّمِ
ونحنُ وُلاةُ حجابِ العتيقِ زمانَ الرُّعافِ على جرُهُمِ

وجاء فيما كتبت فى حواشيه عن أمثال الميدانى والبيان والتبيين : إنّ هذا الذى كان يزعم أنه يناجى الله هو : وَكيع بن سَلَمة بن زُهير بن إياد ، كان وَلِىَ أمرَ البيت بعد جرهم ، فبنى صَرحاً بأسفل مكة ، وجعل فى الصَّرح سُلَّماً ، فكان يَرقَاه ، ويزعُم أنَّه يناجى الله ، وينطق بكثير من الخَبَر .

---

(١) المناوى ، بضم الميم : نسبة إلى منية الخصيب بمصر .

الحُمَّى الشوكية :

جاء فى حواشى الحيوان أيضا ، أنَّ رواية الميدانى فى البيت السابق :

ونحنُ وُلاة حجابِ العتيقِ زمانَ النُّخاعِ على جُرهمِ

ويقول الميدانى : يقال إنَّ الله سلط على جُرهمٍ داءً يقال له النُّخاع ، فهلك منهم ثمانون كَهلًا فى ليلةٍ واحدة ، سِوى الشُّبَّان .

أقولُ : فهذا تسجيلٌ تاريخى لهذا الوباء الذى سمَّيناه حديثا بالحمَّى الشوكية ، التى مصدرها ومكمُنها فى نُخَاع العمود الفِقْرى .

وأذكر أنَّ هذا الوباء كان قد اجتاح بلادنا العزيزة فى نحو سنة ١٩٢٢ .

وجاء فى اللسان : « والنخاع عرقٌ أبيضُ فى داخل العنق ، يَنْقاد فى فَقار الصُّلب حتى يبلغ عَجْبَ الذنب » .

وأقول : أليس من الأجدر أنْ نطلق على هذا الداء لفظ حُمَّى النُّخاع ، بدلا من هذا اللفظ المُشَيَّأ ؟ !

فى النسب إلى القبائل :

كثيراً ما نجد فى كتب الأنساب والتاريخ نحوُ قولهم : فلانٌ الهَوَازنىّ ثم البكرى ، أو الشَّيبانى ثُمّ الذُّهلى ، أو العامرىّ ثم الجَعْدى . وقد يلتبس الفهم على غير العالم بالأنساب فلا يدرى معنى « ثُمّ » هذه ، أهى نُزُولٌ بالنسب إلى الجدود ، أم هى صعود به إلى الآباء .

والحقُّ أنها صعودٌ بالنسب من الأجداد إلى الآباء . فالأوّل يَعنِى

أنه من بكر بن هوازن ، والثانى يعنى أنه من ذُهل بن شيبان ، والثالث يعنى أنَّه من جعدة بن كعب بن عامر .

ومثال ذلك ما جاء فى المؤتلف والمختلف للآمدى ص ١٨١ فى قوله : « ومنهم المثلّم بن المشجرة [١] الضبّى ثم العائذىّ ، من عائذة بن مالك بن بكر بن سعد بن ضَبَّة .

من نوادر أسماء القبائــل :

المعروف أن كلمة « فلان » تستعمل فى الكِناية عن أسماء الآدميِّين المذكَّرين ، كما أنَّ فلانة كناية عن اسم الأنثى منهم . ويقولون فى النداء : يافُلُ للواحد المذكر ، ويافُلانِ للاثنين ، وللجمع يافُلُونَ .

كما يقولون : يافُلَةُ ويافلتانِ ويافُلاتُ . وهذا فى نطاق الآدميِّين . أما غير العاقل فيكنى عنه بإدخال أل ، فتقول العرب : ركبت الفلان ، وحلبت الفلانة ، أى الجواد ، والناقة .

ولكن من الغرائب النوادر أن نجد كلمة « فلان » اسماً خاصًّا لقبيلة معيَّنة من قبائل العرب . جاء فى كتاب التصحيف للعسكرى : « وبنو فلان : بطنٌ من الأسْد ، أى من الأزد » .

ولم تُذكر هذه القبيلة فى متداوَل كتب الأنساب ولا فى المعاجم ، إلا ما ورد فى كتاب تاج العروس استدراكاً على صاحب القاموس .

---

(١) جاء فى حواشى المؤتلف : « قال الآمدى : ابن المشجرة ، بجيم بعد الشين ثم راء وهاء . وقال ابن ماكولا : هو ابن المشخر ، بخاء معجمة وبعدها راء . وليس بعد الراء هاء » .

وأعجب من هذا ، ولكنّه يتّسم بالقَبول والسَّماحة تسميتُهم لبعض القبائل : « بنو إنسان » ، وهم من قيس عَيْلان ، قال العسكرى فى التصحيف : « وهو إنسان بن عُتوارة بن غَزِيَّة بن جُشَم الأعجاز » .

وأنشـــد :

وكان بنو إنسانَ قومى وناصرى فأضحى بنو إنسانَ قوماً أعاديا

ويقول العسكرى [١] ، تعليقا على هذا البيت : « وبنو إنسان هؤلاء فى بنى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وهم حلفاء ثقيف » .

ونحوه فى تاج العروس :

وذكر الآمدى هذه القبيلة أيضا فى المؤتلف [٢] قال : « ومنهم خُفاف بن الجُلاح بن صامت بن سَدوس بن إنسان بن عُتوارة بن غَزيّة بن جُشَم » .

فهذا توثيق آخر .

كنـــوز مصـــر :

جاء فى تفسير أبى حيان [٣] عند قول الله تعالى فى أحد فراعنة مصر حين أتبع موسى عليه السلام وقومه بجنوده : (فأخرجْناهمْ من جنّاتٍ وعيون * وكنوزٍ ومقامٍ وكريمٍ) أنّ المراد بالعيون عيون الماء ، وقيل

---

(١) التصحيف للعسكرى ص ٥٠٥ .
(٢) المؤتلف والمختلف للآمدى ١٠٨ .
(٣) البحر المحيط ٧ : ١٨ .

هى عيون الذهب ، وأنَّ الكنوز هى كنوز المقطَّم ومَطَالبُه . قال ابن عطية: هى باقية إلى اليوم » .

يقول أبو حيان الأندلسى هذا ، وهو محمد بن يوسف المتوفى بالقاهرة سنة ٧٤٥ :

« وأهل مصر فى زماننا فى غاية الطَّلب لهذه الكنوز التى زَعَموا أنّها مدفونة فى المقطم ، فيُنفقون على حَفر هذه المواضعِ فى المقطَّم الأموال الجزيلة ، ويَبلُغون فى العمق إلى أقصى غاية ، ولا يظهر لهم إلّا التُّرابُ أو حجر الكَذَّان الذى المقطم مخلوقٌ منه . وأىُّ مغربِىٍّ يرد عليهم سألوه عن علم المطالب (١) ، فكثير منهم يضعُ فى ذلك أوراقاً ، ليأكلوا أموال المصريِّين بالباطل ، ولا يزال الرجلُ منهم يَذهب مالُه فى ذلك حتّى يفتقر ، وهو لا يزداد إلّا طلباً لذلك حتى يموت . وقد أقمتُ بين ظهرانَيْهم إلى حينِ كتابة هذه الأسطر ، نحواً من خمسة وأربعين عاما ، فلم أعلم أنَّ أحداً منهم حَصَل على شىءٍ غير الفقر . وكذلك رأيُهم فى تغوير المياه : يزعمون أنَّ ثَمَّ آباراً ، وأنَّه يُكتب أسماءٌ فى شَقَفة ، فتُلقى فى البئر فيغور الماء ، ويَنزل إلى بابٍ فى البئر يدخل منه إلى قاعة مملوءة ذهبا وفضة وجوهراً وياقوتا . فهم دائما يسألون من يَرِدُ من المغاربة عمن يحفظ تلك الأسماء التى تُكتب فى الشَّقَفة ، فيأخذ شياطينُ المغرب منهم مالًا جزيلا ويستأكلونهم ، ولا يَحصُلون على شىءٍ غيرَ ذهاب أموالهم » .

ثم يقول أبو حيان : « ولهم أشياءُ من نحوِ هذه الخرافات ، يركنون

---

(١) يقصد بالمطالب هنا الأماكن التى تطلب فيها الكنوز ، وأصل الطلب محاولة وجدان الشىء وأخذه ، كما فى تاج العروس .

إليها ويقولون بها . وإنما أطَلْتُ فى هذا على سبيل التحذير لمن يعقل » .

ومهما يكن من أمرٍ فإنّ كنوز مصر واقعٌ تاريخى ، يتجسَّد اليوم فى البحث عن الآثار النفيسة ، وفيها ما خلّفه الفراعنة من مصنوعات الذهب والأحجار الكريمة وغيرِها .

وقد نطق القرآن الكريم بمال قارون ، الذى كانت مفاتح خزائنه تنوء بالعُصْبة أولى القوة . وكان قارون ، كما تقول التفاسير ، إسرائيليًّا ، ولَّاه فرعون على بنى اسرائيل فبغَى عليهم . وإليه تنسب بركة قارون بالفيوم .

الغُــزّ :

جاء فى لسان العرب [١] : « الغزّ : جنس من الترك » . وكذلك وردت الكلمة فى القاموس . ولعلَّ أقدم نص وردت فيه هذه الكلمة ما جاء فى النجوم الزاهرة [٢] فى حوادث سنة ٣٦٢ فى أثناء وصف موكب الخلفاء الفاطميين فى أول العام من كل سنة ، وهو وصف مثير جدا ، يقول فيه فى تفاصيل ترتيب هذا الموكب : « ثم الأتراك المصطنعون ، ثم الديلم ، ثم الأكراد ، والغُزُّ المصطَنَعة ، وهم البَحْريّة » .

والعامّة هنا فى مصر لا يزالون يَضرِبون المثل بهذا الجِنْس من الترك ، فى قِلَّة وفائهم ، وفى غَدْرهم فيقولون : « آخر عِشْرةِ الغُزّطُزّ » .

ولم تظهر شوكة هذا الجِنس من التُّرك إلّا فى سنة ٤٢٠ إذ يذكر

---

(١) فى اللسان عن أبى عمرو : الشقفة : الخزف المكسر : وفى القاموس : الشَّقَف محركة الخزف أو مكسره .

(٢) النجوم الزاهرة ٤ : ٩٠ .

ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٢٠ أن هؤلاء الترك كانوا أصحابَ أرسِلان ابن سَلجوق التركى ، وأنهم كانوا بمَفَازة بُخارى ، فلمَّا عَبَر يَمِين الدَّولة محمود بن سُبُكتِكِين النهرَ إلى بخارى هرب صاحبُها عَلي تِكِين صاحب بخارى منه ، وحَضَر أرسلان عند يمين الدولة هذا ، فقبضَ عليه وسجنه فى بلاد الهند ، وقتل كثيراً من أصحابه فهربوا ولحِقوا بخراسان فأفسَدُوا فيها ، ثم إلى أصبهان وأذرَبيجان ، ثم إلى الرَّيِّ وهمَذان والهكَّارية ودياربكر ، ثم إلى الدَّامِغان ، وعاثُوا فى البلاد ، وسار بعضهم إلى نصيبين وسِنجار وجزيرة ابن عمر ، والموصل ، وعَمِلوا بأهل الموصل الأعمالَ الشنيعة من الفَتْك وهتك الحريم ، ونهب المال ، وأحدثوا الفوضى فى البلاد حتَّى بلغت قيمة الجاريَة الأرمنيَّةِ الحَسناء خمسة دنانير . ولكنَّ أهل الموصل بعد ذلك نهَضُوا لهم بقيادة قِرواش صاحب المَوْصل الذى قضى عليهم قضاءً مبرماً فى سنة ٤٣٣ أى بعد أن عاثُوا فى بلاد العرب ثلاث عشرة سنة .

فى مجـــال الأعـــلام :

(إضافة الابن إلى الأب) : يكاد المعاصرون ينسَون أسلوب العرب فى قولهم : محمد بن عبد الله ، وأحمد بن يوسف ، إلَّا أَثارةً مماً يبلغنا عن إخواننا فى المغرب ، إذ يقولون محمد بِنْعبد الله وأحمد بنيوسف . وأسلوب المعاصرين صحيحٌ إذا اعتبر الأب كأنَّه لقب من ألقاب الابن ، فيجرى عليه الحكم النحويُّ الخاص بإضافة الاسم إلى اللقب ، حين يقولون : سعيدُ كُرْزٍ ، أو بتعيُّن الإتْباع على البدلية أو عطف البيان ، إذا كان الأوّل مضافاً أو مقرونا بأل ، أو كان الاسمان مضافين ، نحو : عبد الله زين العابدين ، أو كان الأول مفردا والثانى مضافا أو العكس .

وقد جرى المتنبى على هذه الإجازة والتخريج قديما فى قوله :

لله ما فعَلَ الصوارِمِ والقنَا ‏ ‏ ‏ ‏ فى عمرِو حابِ وضَبَّةَ الأغنامِ

أراد عمرو بن حابس ، فحذف « ابن » وأضاف عمراً إلى حابس بعد ترخيمه لغير نداء .

وأمر آخر شبيه به ، وهو :

(تسمية الولد باسم والده) كما يقال فى نحو محمد على حجازى : حجازى ، وفى نحو عباس محمود العقاد : العقاد . وهى تسميةٌ شائعة فى لغة العرب اليوم ، بل فى لغات العالم جميعا ، فيقولون عُرابِى وصِدْقى ، فى أحمد عُرابى ، وإسماعيل صدقى كما يقولون هتلر ، وتشرشل وتيتو . ولهذا سابقةٌ قديمة عند العرب ، تتمثل فى قول زيد الخيل [١] :

كَمُنْيَة جابرٍ إذ قال ليتي ‏ ‏ ‏ ‏ أصادفُه وأفقدَ جُلَّ مالى

قالوا : أراد بجابر ولدَه : قيسَ بن جابر . وجاء كذلك فى قول الآخر :

صبّحْنَ من كاظِمةَ الخُصَّ الخَرِب

يَحمِلْن عباسَ بنَ عبدِ المطَّلبْ

إنما يريد : عبد الله بن عباس .

فى مجــال الألفـاظ :

(نَفْس الشيء) يتحرَّج بعض المتحذلقين من استعمال « النفس » فى غير التوكيد ، فيقول « الشيء نفسه » فقط . وقد ضيَّقوا بهذا واسعاً . فنفس الشيء : ذاته ، تستعمل استعمالَه ، ولا يَمنع من ذلك نحوٌ ولا لغة .

---

(١) الخزانة ٥ : ٣٧٥ .

جاء فى كتاب سيبويه [١] : « وتجرى هذه الأشياء التى هى على ما يستخفُّون بمنزله ما يحذفون من نفس الكلام » . وفى الكتاب أيضا [٢] : « وذلك قولك : نزلت بنَفْس الجبل ، ونَفْسُ الجبل مُقابِلى » .

ويقول الجاحظ فى الحيوان [٣] : « ولا بد للترجمان مِن أن يكون بيانُه فى نفس الترجمة ، فى وزن علمِه فى نفس المَعرِفة » .

(الصارى) زعم ياقوت فى معجم البلدان [٤] أن الصارى هو شراع السفينة بلغة تجّار المصريين . وهذا وهمٌ منه ، فإنَّ الصارى بمعنى الشراع عربية أصيلة قديمة . وفى اللسان : « وصارى السفينة : الخشبَة المعترِضة فى وسطها . وفى حديث ابن الزُّبير وبناء البيت : فأمر بصوار فنصبت حول الكعبة » . هى جمع الصارى ، وهو دَقَلُ السفينة الذى ينصَب فى وسطها قائماً ويكون عليه الشراع » .

والذى أوقع ياقوتاً فى هذا الوهم أنَّه وجد الجوهرىَّ يقول : « والصَّارِى : الملَّاح » ، فظن ياقوت أنَّ إطلاقه على شراع الملّاح مجاز مصرى مستحدث . والحقُّ أنه من الألفاظ المشتركة بين المعنيين .

(البِطاقة) يفسر ابنُ الاعرابى البِطاقة بأنَّها الورقة ، ومنه قول ابن عباس لامرأةٍ سألتْه عن مسألةٍ : اكتبيها فى بطاقة ، أى رُقعة صغيرة .

وخصَّها بعض اللغويين بأنها رقعة صغيرة يكتب فيها مقدارُ ما

---

(١) سيبويه ١ : ٢٦٦ .

(٢) سيبويه ٢ : ٣٧٩ .

(٣) الحيوان ١ : ٧٦ .

(٤) معجم البلدان ٥ : ٣٣٢ .

تُجعل فيه ، إن كان عيناً فوزنه أو عدده . وإن كان متاعا فقيمتُه .

وزعم بعضهم أنَّها كلمة مبتذلةٌ بمصر وما والاها ، يدْعون الرقعةَ التى تكون فى الثوب وفيها رَقْم ثمِنه : بطاقة ، وذكر ذلك من اللغويين شَمِر ، وقال : لأنَّها تشدُّ بطاقةٍ من هدب الثوب .

قال ابن سيده : وهذا الاشتقاق خطأ ، لأنَّ الباء على هذا القول تكون باء الجر فتكون زائدة .

وإنَّ الأمر لا يعدو أن يكون كثرةَ الاستعمال بمصر .

(حَيَّ على الفلاح) يخطىءُ كثير من النَّاس ولاسيما المؤذِّنين فى نُطق الياء بالكسر ، يظنُّونها فعلَ أمر ، وإنّما هى اسم فعلٍ أمرٍ واجبُ الفتح .

والذى أوجب اللَّبْس أن فعل الأمر يُنطَق بكسر الياء الدالة على ياء محذوفة .

وممّا ورد فى الشعر من صيغة الأمر قول امرىء القيس :

حَيِّ الحُمولَ بجانب العَزْلِ إذْ لا يوافقُ شكلُها شكلى

وغيره كثيرٌ جدّاً .

(الدُّقَّة) قد يتحرَّج بعض الأدباء من استعمال هذه الكلمة ، يظنُّونها من كلمات العامّة . وهى عربية فصيحة ، يُعنَى بها المِلح المدقوق ، أو التوابل وما خلط من الأبزار ، كما فى اللسان والقاموس .

وفى أساس البلاغة : « ولابد مع اللَّحْم من الدُّقَّة ، وهى الملح المبزَّر » .

ويقول الزمخشرى أيضاً : « ورأيت العرب يسمُّون الكُزْبرة الدُّقّة . وينشدون :

باتت لهنّ ليلةٌ دعسُقَّهْ طَعمُ السُّرَى فيها كطعمِ الدُّقَّه » .

ويبدو أن قائل الرجز قد سئم من كثرة تناولها .

ويقول الزمخشرى أيضا : « وسمعت باعةَ مكة يُنادون عليها بهذا الاسم » .

(الماهية) نسبةٌ مأخوذة من ما هو ، أو ما هىَ ؟ وقد شاعت قديما على ألسنة المناطقة والمتكلمين . لكن وجدت البِيرونىَّ المتوفَّى سنة ٤٤٠ يقول فى كتابه [١] : « القول على مائية اليوم بليلته ومجموعهما وابتدائهما » . ويقول [٢] : « القول على مائية ما يركب منها من الشهور والأعوام الباقية » . ويقول [٣] : « القول على مائية التواريخ واختلاف الأمم فيها » . ويقول [٤] : « القول فى اختلاف الأمم فى مائية المَلكِ الملقَّب بذى القَرْنَين » .

وهذه النسبة التى التزمها البِيرونى فى كتابه ، هى النسبة القياسية إلى كلمة « ما » كما فى الأشمونى [٥] . يقول ابن مالك :

وضاعِفِ الثانىَ من ثُنائى ثانيه ذُو لينٍ كلا ولائى

فيقول الأشمونى : « إن كان ألفاً ، يعنى ثانى الكلمة ، ضُوعفت وأُبدِلَ ضعفها همزة ، فتقول فيمن اسمه لا : لائىّ . وإن شئت أبدلت

---

(١) الآثار الباقية للبِيرونى ص ٥ .
(٢) الآثار الباقية ص ٩ .
(٣) الآثار الباقية ص ١٣ .
(٤) الآثار الباقية ص ٣٦ .
(٥) شرح الأشمونى للألفية ٤ : ١٩٦ .

الهمزة واوا فقلت لاوىّ » . فعلى هذا يقال فى النسبة إلى ما : « مائىّ » ، و « ماوىّ » ، ويقال أيضا مائية الشئ وماويّته .

وأرى أن هذه الكلمة أقيس وأضبط وأدقّ فى الاستعمال من الماهيّة ، وأنهّا جديرة أن تحل محلها بعد ما شاع رَدَحاً من الدَّهر استعمال الماهية فى الوظيفة أو المرتَّب المالى فى مقابل العملِ الذى يُسنَد إلى العامل . ومن المعروف أن هذه الأخيرة دخيلةٌ مأخوذة من « ماهْ » الفارسية بمعنى الشهر .

(السنة الكبيسة) : قد يُظَنّ أنها اصطلاح فَلَكى حديث ، مع أنّه ضارب إلى القديم بعِرْق . جاء فى كتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقى (١) المتوفى سنة ٤٥٣ عند الكلام على شهور الروم (ويقصد شهور السريان) أنهم يجعلون شهر شُباط — وهو ما يقابل فبراير بالشهور الرومية الميلادية — ثمانية وعشرين يوما ، غير أنهم يجعلونه ثلاث سنين كل سنة منها ثمانية وعشرين يوما ، وفى سنته الرابعة تسعة وعشرين يوما . وتلك السنة تكون فى عددهم ثلاثمائة وستة وستين يوما ، ويسمونها الكبيسة .

ثم ذكر أنّ الفُرْس كانوا يكبسون فى كل مائةٍ وعشرين سنة شهراً واحدا فتصير تلك السنة الكبيسة ثلاثمائة وخمسة وتسعين يوما .

هذا كلُّه فى كلام طويل لمن أراد أن يدرسه . وقد سبقه إلى ذلك الجوهرى صاحب الصحاح المتوفى قبله بستين سنة أى سنة ٣٩٣ فقال : « والسنة الكبيسة التى يُستَرَقُ منها (الصواب لها) يومٌ فى كل أربع

---

(١) الأزمنة والأمكنة ١ : ١٧٢ .

سنين » . ومثله فى اللسان والقاموس .

(الأَوَنْطَة) كلمة دخيلة ، ويقولها إخواننا بالعراق : الهَونطة والعَونْطة أيضا.ويقولون : « أخذو بالهونطة ».يقول الأخ العراقى عبد الخالق الدباغ فى كتابه « معجم أمثال الموصل العامية [1] » : هى محرّفة عن الفرنسية (أفنتور) : Aventure . بمعنى التحايل لكسب المعيشة . يُضرب لمن ينال الشئَ بالسَّفاهة والاغتصاب . ويقابله فى العربية : « أخذه أخذ سَبْعة » ، وهى اللبؤة ، أو اسمُ رجلٍ عُرف بالشدّة ، وهو سَبْعة بن عوف بن ثعلبة بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ .

(الفَشكَلة) يقولها العامة تعبيراً عن إشاعة الفوضى فى أمر من الأمور ، وجَعْلِه شيئاً لايُؤبَه له ولا يستحقُّ العناية . وهى محرَّفة عن الفسكلة العربية الصحيحة . والفسكلة : تأخير الشيء وجعله كالفِسكِل من الخيل الذى يجيء فى آخر الحلبة لا يسترعى الانتباه . ومنه قول على عليه السلام لأولاد زوجته أسماءَ بنت عُميس : « قد فَسكلَتْنى أمُّكم » أى أخَّرتنى ، لأنَّها تزوجت قبله بجعفر أخيه ، ثم بأبى بكر ، ثم بعلىّ . اللسان (فسكل) ونوادر المخطوطات [2] .

المــــرأة :

١ ــ من نوادر أخبارها ما ذكره الطبرى فى تاريخه سنة ١٠٥ عند

---

(١) معجم أمثال الموصل ١ : ٣٠ .

(٢) نوادر المخطوطات ١ : ٧٧ .

الكلام على والدة هشام بن عبد الملك بن مروان ، واسمها عائشة .

يقول الطبرى : وكانت حمقاءَ ، أمَرها أهلُها ألَّا تكلم عبدَ الملك حتّى تلد .

وواضح أنَّ ذلك خشيةَ أن يفتضح حُمْقُها افتضاحاً .

يقول الطبرى : « وكانت تَثنِى الوسائد ، وتركب الوِسادة ، وتزجُرها ، كأنَّها دابَّة ، وتشترى الكُندُر فتمضَغه وتَعمَل منه تماثيل ، وتضع التماثيل على الوسائد ، وقد سمَّت كلَّ تمثال باسم جاريةٍ ، وتنادى : يافلانةُ ويافلانة ! فطلَّقها عبد الملك لحمقها .

٢ ــ ومن أخبار المرأة فى نطاق أثمان الجوارى ، ما أورده الجاحظ فى كتاب القيان (١) ، تصويراً لحال من يملكون الحَسناوات الممتازات من الجوارى والقيان ، وذلك على لسان أحد هؤلاء المُلَّاك ، إذ يقول :

ومن فضائل الرجل منَّا أن الناس يقصدونه فى رحلِه بالرغبة ، كما يُقصَد بها للخلفاء والعظماء ، فيُزار ولا يكلَّف الزِّيارة ، ويُوصَل ولايُحمَل على الصِّلة ، ويُهدَى له ولا تُقْتضَى منه الهدية ، وتبيت العيونُ ساهرةً والعيونُ ساجمة ، والقلوبُ واجفة ، والأكباد متصدعة ، والأمانىّ واقفة على ما يحتويه مِلكُه ، وتضمُّه يده ، مما ليس فى جميع ما يباع ويشترى ، ويُستفاد ويُقتنَى ، بَعْدَ العُقَدِ النفيسة . فمن يبلغُ شيئاً من الثَّمن ما بلغته حَبَشيَّةُ جارية عَون : مائة ألف دينار وعشرون ألف دينار ؟ ! .

وهذا رقْم فَلَكىٌّ ، كما يقال فى لغتنا المعاصرة .

٣ ــ ومن أخبارها فى الجاهلية ، وَصْف ثوبها الذى كانت تلبسه

---

(١) رسائل الجاحظ ١ : ١٧٧ .

فى الطَّواف بالكعبة ، أو فى زمان المَحِيض . يقول ابنُ الأعرابى : الرَّهط : جلد يُقَدُّ من سيور ، عَرض السَّير أربع أصابع أو شِبر ، تلبسه الجارية الصغيرة قبل أن تُدرِك ، وتَلبَسه أيضا وهى حائض . ويقول ياقوت فى معجم البلدان مادة (رهط) : « والرهط : جلدٌ يشقَّق سيورا ، كانوا فى الجاهلية يطوفون عُراةً ـــ يعنى الرجال ـــ وكانت النساء يشدُدْن ذلك فى أوساطهن » .

٤ ـــ ومن روائع أشعارهم العفيفة فيها ما أنشده المرزوقى فى الأزمنة والأمكنة (١) :

فلو كنتِ ماءً كنتِ صوبَ غمامة ولو كنتِ مُزنا كنتِ من ثُرّة بكْرِ
ولو كنتِ لهواً كنتِ تعليلَ ساعةٍ ولو كنت نوماً كنتِ تعريسةَ الفَجْرِ

ويقـــول آخـــــر :

فلو كنتِ ليلا كنتِ ليلَةَ صيِّف من المُشرقات البِيض فى وسَطَ الشهرِ
ولو كنتِ ظِلًّا كنتِ ظِلَّ غمامة ولو كنتِ نوماً كنتِ تعريسة الفجرِ
ولو كنت يوما كنت يوم سعادة تُرى شمسُه والمزن يَهضِب بالقطرِ

ويقول آخر وقد راقته تعريسة الفجـر أيضا :

فلو كنت يوماً كنْتِ يومَ تواصلٍ ولو كنتِ ليلًا كنتِ لى ليلةَ القَدْرِ
ولو كنتِ عيشا كنتِ جنّة نَعْمةً ولو كنتِ نوماً كنت تعريسةَ الفجرِ

فى مجال التعبيـر :

١ ـــ فى زمهرير الشتاء وصَبَارَّة البرد ، يَجمع كفَّيه من أجهده القُرّ ، وينفخ فيهما مَرّاتٍ ليسخِّن أطراف أصابعه ، فماذا كان يقول

---

(١) الأزمنة والأمكنة ٢ : ٢٧٧ ، ٢٧٩ .

العربى فى هذا ؟ إنه يقول : أكهَى الرجل ، أى سَخَّن أطراف أصابعه بنَفَسِه .

٢ ـــ ونجد خطاً من الخطوط ، أو صَفًّا من الصفوف ، يشيع فيه الاعوجاج المطَّرد ، فيقول العامىّ فى التعبير عن هذا: فيه زِجزاج ، لكنَّ الفتى العربىّ يقول قولًا أضبَطَ من هذا وأدقّ ، وأدلَّ على الصورة ، يقول : إنّه متضارس أو متضرِّس ، كأنه على أشكال الضروس .

وفى اللسان : « وتضارس البناء إذا لم يستو . وفى المحكم : تضرَّس البناء ، اذا لم يستو فصار كالأضراس » .

وما أجدر هاتين الكلمتين أن تدخلا فى معجم ألفاظ الحضارة .

٣ ـــ وبعض ملابس النساء يُصنَع على هيئة دوائر وطبقاتٍ وأسماط بعضُها فوق بعض ، وهنَّ يستخدمن اللفظ الأجنبى « الكَرانيش » ويَنسَيْنَ اللفظَ العربىَّ الفصيح : « السَّنَد والأسناد » .

وفى اللسان : « السَّنَد ضروب من البرود . وفى الحديث أنَّه رأى على عائشة رضى الله عنها أربعة أثواب سَنَد . قال الليث : السَّنَد : ضربٌ من الثياب ، قميصٌ ثم فوقه قميصٌ أقصر منه . وكذلك قُمصٌ من خِرَق مُغيَّبٍ بعضُها تحتَ بعض . وكلُّ ما ظهر منها يسمَّى سِمْطاً سمطا » .

فى مجــال النحــو والصرف :

(التزام الإعراب) قد نَنعَى على بعض معاصرينا أنَّهم يلتزمون لغة الوقف فى غيرِ ما وقفٍ ، هرباً من الخطأ فى الإعراب الذى لا يحسنونه ، فينطقون بإسكان أواخر الكلمات ستراً لصنيعهم ، وتوقِّيا للخطأ .

وعلى العكس من ذلك نجد فى النصوص المأثورة أنَّ بعض قبائل

العرب كانت تلتزم الإعراب فى الوصل وفى الوقف أيضا ، وهم أَزْد السَّراة .

نجد هذا النص فى كتاب سيبويه (١) إذ يقول : وزعم أبو الخطَّاب أنَّ أزد السراة يقولون : هذا زيدو ، وهذا عمرو ، ومررت بزيدى وبِعمرى ، جعلوه قياساً واحداً ، فأثبتوا الواو والياء كما أثبتوا الألف » .

ويُشِير سيبويه بهذا الأخير إلى إجماع العربِ قاطبةً على الوقف على المنصوب بالألف ، يقولون رأيت زيدا ، إلَّا ربيعَةَ منهم ، فإنهم يلتزمون الإسكان فى الوقف ويَطْرُدونه كذلك فى المنصوب المنوّن فيقولون : رأيت زيدْ . ومع هذا يقول ابن عقيل ، كما فى حاشيةٌ الصبان (٢) :

« والظاهر أن هذا غير لازم فى لغة ربيعة ، ففى أشعارهم كثيرا الوقف على المنصوب المنون بالألف . فكأن الذى اختصُّوا به جواز الإبدال ». يعنى أن إبدال تنوين المنصوب ألفا أمرٌ جوازى كالوقف عليه بالسكون .

(الوقف على المنقوص المجرد من أل فى حالتى الرفع والجر) الأصل أن يُوقَفَ عليه بحذف الياء ، فتقول جاء قاض ، ومررت بقاض ، ودرست ألفيّة ابن مُعْط . لكنّ هناك لغة أخرى أثبتها الرضى فى شرح الكافية (٣) والسيوطى فى الهمع (٤) هى إثبات الياء فى الوقف فى هاتين

---

(١) سيبويه ٤ : ١٦٧ .

(٢) حاشية الصبان على شرح الأشمونى ٤ : ٢٠٤ .

(٣) الرضى على الكافية ٢ : ٢٧٩ .

(٤) همع الهوامع ٢ : ٢٠٦ .

الحالتين أيضا فيقولون : جاء قاضيٍ ، وأعجبت بكريمٍ مُعْطِي .

(الحرف الميّت) نظر أسلافنا من العلماء إلى الأصوات نظرة شمولية مجسَّمة تجسيما ، فوصفوا الحرفَ الذى لا يتغيَّر بالصِّحّة والقوة فقالوا : هذا حرفٌ صحيح ، وحرفٌ قويٌّ . وأمّا ما يتغيَّر بحذفه مَرّة ، أو بإبداله بإبدال حتميٍّ إلى نظيره مرّة أخرى فيقولون فيه : حرف معتل ، أو حرف علة . بل ذهب شيخُ النحاة سيبويه إلى وصف هذا الحرف بالمَوْت ، إذ نجده يقول فى حذف الألف من آخر الاسم الخماسى عند النسب ، حينما نقول فى النسب إلى حُبَارَى حُبَارِيٌّ ، يقول : « وإنما جَسَرَوا على حذف الألف لأنَّها ميِّتة لا يدخلها جَرٌّ ولا رفعٌ ولا نصب [1] » .

(الكِشكِشة) جاء فى أعمال لجنة اللهجات بمجمعنا الموقر كلامٌ فيها ، اقتُصِر على أنَّها جعل الشِّين مكان الكاف ، وذلك فى كاف خطاب المؤنّثة خاصّة كقولهم : عَلَيشِ ومِنْشِ .

وأقول : هذا إيجاز فى تعريف الكُشكشة ، وفى ذكر نماذجها ، إذ من نماذجها المشهورة قول المجنون :

فعيناشِ عيناها وجِيدُشِ جيدها ولكنَّ عظْمَ السَّاق مِنْشِ دقيقُ

أما الشق الثانى الذى أغفلته اللجنة فهو زيادة الشين بعد هذه الكاف حينَما يقولون : عليكِشْ وإليكِشْ وبِكِشْ ومِنْكِش ، وذلك فى الوقف خاصَّة. ومن هنا جاءت تسميتها بالكِشكِشة .

ويذكر البغدادى فى الخزانة ١١ : ٤٦١ ترجيح تسميتها بالكِشْكِشة بكسر الكافين ، لأنه مقتضى الحكاية فى كِشْ كِشْ . كما

---

(١) سيبويه ٣ : ٣٥٦ .

يذكر البغداديُّ أنَّ من العلماء من يفتح الكافين على حَدِّ قولهم فى التعبير عن بسم الله بالبَسْمَلة.

ويضاف إلى ذلك أيضا : الكَسْكَسة أو الكِسْكِسة ، وهو استعمال السين مكان كاف المؤنثة أو زيادتُها بعدها ، كما سبق فى استعمال الشين ، وهى لغة بكر بن وائل .





الفهارس التحليلية



١ – فهرس القرآن الكريم

* * *

٢ - فهرس الحديث

٣ - فهرس الأمثال

* * *

٤ – فهرس الأشعار

* * *

٥ - فهرس الأرجاز

(أ)

ثُنائى	ابن مالك	١١٧
ولائى	« «	١١٧

ب

الخرِبْ	—	١١٤
المطّلبْ	—	١١٤
الغائبِ	—	٧٩

ر

الشجَرْ	الزّبّاء	٦١

ق

دعسُقّه	—	١١٧
الدُّقّه	—	١١٧

ل

أفعَلا	ابن مالك	٧٤
كأشهلا	« «	٧٤
أصِّلا	« «	٧٤
تُوصَلا	« «	٧٤

م

بكلّ ما	ابن مالك	٩٥
لزِما	« «	٩٥
غلامُها	—	٧١
هامها	—	٧١

ن

بِنا	ابن مالك	٩٥
استُحسِنا	« «	٩٥

٦ – فهرس اللغة

* * *

٧ - الألفاظ الدخيلة والعامّية

* * *

٨ - فهرس الأعلام

(أ)

ب

ت

ث

ج

ح

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ط

ع

غ

ف

م

ن

و

ى

* * *

٩ - فهرس القبائل والطوائف ونحوها

* * *

١٠ - فهرس البلدان والمواضع ونحوها

* * *

١١ - فهرس المباحث

* * *

١٢ - فهرس الكتب والمراجع(*)

أ

(*) ماورد مجردا من النص على أنه مطبوع أو مخطوط ، فهو مما ورد عرضا .

ب

ت

ج

ح

د

ر

ز

س

ش

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

مؤلفات ومحققات أخرى للمؤلف

تطلب من مؤسسة الخانجى

مجلد		
١	الميسر والأزلام (بحث تاريخى ، اجتماعى ، أدبى لغوى) .	
١	تهذيب سيرة ابن هشام	
١	تهذيب إحياء علوم الدين ، للغزالى	
١	تهذيب الحيوان ، للجاحظ	
١	حول ديوان البحترى	
١	الأساليب الإنشائية فى النحو العربى	(بحث مبتكر)
٢	الألف المختارة من صحيح البخارى	(اختيار وشرح وتخريج)
١	قواعد الإملاء	
١١	خزانة الأدب ، للبغدادى	شرح وتحقيق
٨	الحيوان ، للجاحظ	» »
٤	البيان والتبيين ، للجاحظ	» »
١	العثمانية ، للجاحظ	» »
١	البرصان والعرجان والعميان والحولان ، للجاحظ	» »
٤	رسائل الجاحظ (٤٥ كتابا ورسالة)	» »
٦	معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس	» »
٢	مجالس ثعلب	» »
٤	شرح الحماسة ، للمرزوقى	» »
١	وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم	» »
١	همزيات أبى تمام	» »
١	المصون ، لأبى أحمد العسكرى	» »
١	مجالس العلماء ، للزجاجى	» »
١	أمالى الزجاجى	» »
٢	نوادر المخطوطات (٢٥ كتاباً ورسالة)	» »
١	جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم	» »
٢	الاشتقاق ، لابن دريد	» »
١	شرح القصائد السبع الطوال ، لابن الأنبارى	» »
٥	كتاب سيبويه مع فهارسه التحليلية	» »
٢	معجم شواهد العربية	
١	فهارس المخصص ، لابن سيده	
١	فهارس معجم تهذيب اللغة ، للأزهرى	
١	تحقيقات وتنبيهات فى معجم لسان العرب	